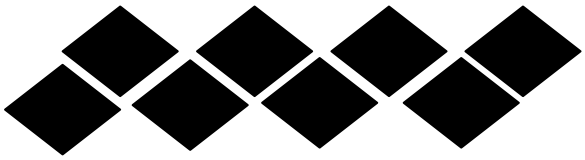

مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

من المساواة إلى تحرير الحيوان

"دراسة أيكولوجية فى فلسفة بيتر سينجر"

From Equality to Animal Liberation:
An Ecological Study in Peter Singer's Philosophy

د. سعيد على عبيد

مدرس الفلسفة الحديثة والمعاصرة

كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادى

مقدمة البحث:

يندرج البحث ضمن واحدٍ من أهم فروع الفلسفة التطبيقية المعاصرة، ألا وهو فلسفة البيئة، فإذا كانت البيئة ذلك الوسط الفيزيائي، والكيميائي، والحيوي الذى يحيط بكافة الكائنات الحية، ومن بينها الإنسان، فإن فلسفة البيئة تتناول ما ينبغى أن يكون عليه سلوك الإنسان فى تعامله مع بيئته من أرض، ونباتات، وحيوانات وغيرها. لذا كانت فلسفة البيئة من أهم فروع الفلسفة المعيارية كعلم الجمال، وفلسفة الأخلاق، حيث تبحث فى علاقة الإنسان بالأرض، والحيوانات، والنباتات التى تنمو عليها، لذلك يمكن القول أن البحث يقبع ضمن تخصص "الأخلاق البيئية"، وذلك لكون الوظيفة الأولى، والمهمة لفلسفة الأخلاق، هى هداية السلوك البشري.

ومن أهم الأمور التى يعالجها البحث فكرة المساواة ودحض العنصرية، إذ أن الإيمان بالفلسفة النفعية بوجه عام، يجعل الإنسان فى تساوٍ دائم مع أخيه الإنسان، هذا الأمر الذى دعا إليه بنتام فى فلسفته، وقد جعله نظرية مهمة فى حقل الدراسات الأخلاقية، ولكنه أغفل فكرة تطبيق هذه النظرية النفعية على أرض الواقع، بينما عمل الفيلسوف الأسترالى بيتر سينجر Peter Singer (١٩٤٦م - ....) على تبني أفكار جيرمى بنتام Jeremy Bentham (١٧٤٨ – ١٨٣٢) وتطبيقها تطبيقًا فعليًا فى الواقع المعيش، فالمساواة التى ينشدها سينجر هنا تشمل الإنسان والحيوان، حيث خرج بها سينجر من حيز الوجود الإنساني لكي يجعلها تشمل الحيوان، حيث إن الحيوان – كما يراه سينجر – يشعر بالألم، ويشعر بالسعادة. لذلك كان واجبًا علينا تحريره من قيود المعاناة، والقهر، والخوف، وكل الآلام البيئية المحيطة به، كما يجب إنقاذه من كافة التجارب فى المختبرات والمعامل، والمراكز البحثية، حتى يشعر الحيوان بأنه كيان له قيمة، وله الحق فى الحياة الكريمة.

وتكمن أهمية البحث فى كونه يعالج نوعًا من القضايا الفلسفية الشائكة، هذه القضايا الإنسانية والبيئية يمكن أن نطلق عليها مشكلات مثيرة للجدل، وكذلك مثيرة للتساؤلات، حيث لا يوجد عند أي فيلسوف رأى صارم، أو فكر قاطع يستطيع أن ينهي به الخلاف القائم حول هذه القضايا، مثل قضية المساواة أو دحض العنصرية،

أو حتى تحرير الحيوان، وحقوقه الواجبة علينا، كما يعالج بشكل موجز ومختصر مشكلة الوعي المعرفي لدى الحيوان، هذه المشكلة التى لا نكاد نجدها إلا فى كتابات بيتر سينجر الأيكولوجية، وكذلك كتابات الفيلسوفة الأمريكية مرثا نسباوم Martha C. Nussbaum (١٩٤٧م - ....) التى أعلنت بصدق أن الحيوانات كيانات لها مشاعر، من خلال تحليلها لفكرة السلوك العاطفي لدى الحيوانات، حيث أكدت فى رؤيتها للحيوان الأعجم بأنه كيان يتمتع بمشاعر، وعواطف مثله في ذلك مثل الإنسان، فلابد أن تشمله فكرة العدالة. وعليها جاء عنوان البحث "من المساواة إلى تحرير الحيوان – دراسة إيكولوجية في فلسفة بيتر سينجر".

ولقد كانت هناك بعض الدوافع التى جعلت الباحث يقوم ببحثه حول فلسفة بيتر سينجر فى المساواة وسيكولوجية الحيوان أو تحريره، وهذه الدوافع كثيرة، ومهمة، منها على سبيل المثال لا الحصر:

أولاً: قلة الكتابات العربية حول بيتر سينجر على الرغم من خصوبة أفكارة، وعمق فلسفته، فلا نجد فى العربية كاتبًا قام بتخصيص بحث منفرد حول فلسفة بيتر سينجر البيولوجية أو الأيكولوجية ، اللهم إلا صفحات معدودة للدكتور: مصطفى النشار فى كتابه "مدخل إلى فلسفة البيئة والمذاهب الأيكولوجية المعاصرة" المنشور سنة ٢٠١٥م.

ثانيًا: خصوبة كتابات بيتر سينجر، فإذا كانت غزارة كتابات برتراند رسل B. Russell (١٨٧٢م – ١٩٧٠م) تمثلت فى صدور كتاب واحد له كل عام، فإن بيتر سينجر يصدر له كّل أسبوعٍ أو شهرٍ مقالٌ أو مقالان، ويصدر له فى العام الواحد كتاب أو كتابان، لذا احتوت كتاباته على ثورة فى الأخلاق البيولوجية، لما تضمنته من أفكار تتنافى مع الدين فى مشكلة الإجهاض، أو أفكار أثارت ضجيج القراء والمفكرين مثل مشكلة حقوق الحيوان، ومساواته بالإنسان.

ثالثًا: لا نكاد نجد فى الكتابات العربية بحوثًا أو مقالاتٍ فلسفيةً تعالج موضوع الحيوان، وأخلاقياته، أو تحريره سوى ما كتبه الدكتور: إمام عبد الفتاح إمام، فى

"الفيلسوف والحيوان"، وسلسلة "الفيلسوف والمرأة"، و "حكايات إيسوب". لذا كان واجبًا على الباحث أن يُنقب عن أفكار بيتر سينجر فى علاج هذه القضية.

ومن خلال هذه الدوافع تكونت الإشكاليات المتعلقة بموضوع البحث، التى **جاء عنوان البحث انطلاقًا منها، وأهم هذه الإشكاليات:**

١. ما سبب التأثير والانتشار واسع المدى لأفكار بيتر سينجر في الجامعات والأدبيات الغربية؟ هل هي كتاباته عن الإجهاض وأفكاره التي بدت مناقضة لما أقرته الأديان، أم فلسفته التي تطرقت بكثافة إلى موضوعات شائكة مثل الإخصاب الإصطناعي، والقتل الرحيم؟

٢. هل يمكن القول أن العنصرية هى السبب فى وجود القلق والألم لدى الجنس البشري؟ وكيف يمكن القضاء عليها ؟ وما القناة التى يتم من خلالها تطبيق فكرة المساواة ؟

٣. كيف ولماذا جعل بيتر سينجر من مبدأ احترام الحياة قوامًا لفلسفته؟ وما الكيفية التى يمكن للحيوان من خلالها العيش فى حياة طيبة ؟ ومتى تنتهى فكرة التجريب على الحيوان؟ وما الكيفية التى يمكن بها تحرير الحيوان؟

٤. هل يمكن القول إن الحيوان الأعجم لديه عاطفة وانفعالات؟ وإذا كان كذلك كيف يُعبر عن عاطفته أو شعوره بالألم أو السعادة؟ وما الوصف الأخلاقي الذي يتناسب مع فكرة اللغة عند الحيوان؟

ولمعالجة هذه الإشكاليات آثرت استخدام مناهج التحليل، والمقارنة، والنقد، حيث أنهما المناهج المناسبة فى هذا البحث، وعليها جاء البحث متضمناً أربعة محاور، ثم تعقيب على البحث برؤية نقدية.

وجاءت فى نهاية البحث خاتمة متضمنة لأهم النتائج التى توصل إليها الباحث، ثم قائمة بالمصادر والمراجع التى تم الاعتماد عليها فى تحليل البحث وطرحه.

والله من وراء القصد

أولاً: من هو بيتر سينجر؟

لماذا يُصنف بيتر سينجر من بين الفلاسفة الأكثر إثارة للجدل؟ ولماذا لُقب بالفيلسوف الخطير ؟ ولماذا أصبح أكثر الفلاسفة شهرة فى الأوساط الغربية ؟

هذه تساؤلات آراها أصيلة فى بداية البحث، وذلك قبل البدء فى تحليل رؤية سينجر لفكرة المساواة، ودعوته لتحرير الحيوان، حتى تساوى الإنسان بالحيوان. لذا ستكون الإجابة عن التساؤلات المطروحة في سياق البحث تحتاج إلى المزيد من الشرح، والتحليل، والنقد، وإن كانت الإجابات التى ستقدم هنا قد تخلو من العمق فى التحليل، وذلك لكون بيتر سينجر يحتاج إلى المزيد من الدراسات الأكاديمية والبحث الفلسفي.

بيتر سينجر Peter Singer هو الفيلسوف الأسترالي – بيتر ألبرت ديفيد سينجر – من مواليد ٦ يوليو لعام ١٩٤٦م، بمدينة ملبورن Melbourne بأستراليا. وهو الفيلسوف الأخلاقي والسياسي الأسترالي الذى ذاعت شهرته بعمله فى مجال أخلاقيات البيولوجيا، وكذلك دوره الرائد كأحد مؤسسي حركة حقوق الحيوان الحديثة. وفى عام ١٩٣٨م هاجر والداه من فيينا إلى أستراليا هربًا من الإضطهاد النازي، حيث تم قتل ثلاثة من أجداده من قبل فى الهولوكست Holocaust ، ونشأ بيتر سينجر فى ملبورن، والتحق فيها بجامعة ملبورن، حيث حصل فيها على درجة البكالوريوس فى الفلسفة والتاريخ عام ١٩٦٧م، وكذلك درجة الماجستير فى الفلسفة عام ١٩٦٩م[1].

في عام ١٩٦٩م أيضًا، إلتحق سينجر بجامعة أكسفورد، وحصل منها على درجة الدكتوراه عام ١٩٧١م، وعمل فيها محاضرًا للفلسفة فى الكلية الجامعية من عام ١٩٧١م حتى عام ١٩٧٣م. وفى جامعة أكسفورد ارتبط سينجر بمجموعة من

(1) Duignan, Brian. "Peter Singer." *Encyclopædia Britannica*. Encyclopædia Britannica, inc. Mar 29, 2007. Accessed July 12, 2015.
https://www.britannica.com/biography/Peter-Singer.

الطلاب النباتيين الذين يمتنعون عن أكل اللحوم، مما أدى به إلى تبني النزعة النباتية Vegetarianism ، وأثناء تواجده فى أكسفورد عمل سينجر أستاذاً زائرًا لجامعة نيويورك في عامي (١٩٧٣- ١٩٧٤م). وفى هذه الفترة كتب سينجر مؤلفه الأكثر شهرة، والأكثر تداولاً فى العالم "تحرير الحيوان: أخلاق جديدة نحو معاملتنا للحيوانات" عام ١٩٧٥م[٢].

بعد عودة بيتر سبنجر إلى أستراليا حاضر فى جامعة لا تروب La Trobe لمدة عامين كاملين (١٩٧٥- ١٩٧٦م)، وبعدها عُيّن أستاذًا للفلسفة فى جامعة موناش Monash وأصبح فيها مديرًا لمركز موناش لأخلاقيات البيولوجيا البشرية عام ١٩٨٣م، ومُخرجًا لمعهد الأخلاقيات والسياسة العامة عام ١٩٩٢م. وفى عام ١٩٩٩م تم تعيينه أستاذًا فى معهد أخلاقيات البيولوجيا فى جامعة إير ا دبليو ديكامب Ira W. DeCamp ، وتمشيًا مع المبادئ الأخلاقية التى وجهت تفكيره، وكتاباته منذ سبعينيات القرن الماضي، كرّس سينجر وقته، وجهده، وكذلك جزءًا كبيرًا من دخله لعلاج المشكلات الاجتماعية والسياسية، وأبرزها حقوق الحيوان، ومشكلة المجاعة، وتخفيف وطأة الفقر، كذلك مشكلات البيئة، والحقوق الإنجابية [٣].

يروى لنا بيتر سينجر بعض الأمور المهمة فى حياته من خلال سيرته الذاتية التى نُشرت في صفحته الخاصة على الشبكة العنكبوتية، وفيها يجيب عن التساؤلات المطروحة فى مقدمة البحث فتراه يقول عن نفسه "لقد كتبت وشاركت في تأليف، و تحرير أكثر من ٥٠ كتابًا، بما في ذلك الأخلاقيات العملية، وإعادة التفكير في الحياة والموت. حتى وصفنى الصحفيون بأننى – الفيلسوف الأكثر نفوذاً فى العالم – إذ يرجع ذلك إلى كتاباتى عن أخلاقيات معاملتنا للحيوانات، وغالبًا ما يعود الفضل في ذلك إلى بدء حركة حقوق الحيوان الحديثة، والتأثير الذي اكتسبته كتاباتي. كما

(2) Loc – Cit.
(3) Loc – Cit.

عُرفت أيضًا بانتقادي المثير للجدل حول قدسية أخلاقيات الحياة في أخلاقيات البيولوجيا"[٤].

وإذا أردنا الإجابة عن تساؤلنا – لماذا كان سينجر أكثر الفلاسفة شهرة فى القرن الحادى والعشرين ؟ كانت الإجابة كما يخبرنا سينجر أن كتابه المعنون بـــــ"تحرير الحيوان" Animal Liberation الذي نُشر لأول مرة في عام ١٩٧٥م، جعل عدة شخصيات بارزة تقول: أنه كان سببًا فى دفعهم إلى الكفاح من أجل التقليل من المعاناة المؤلمة التي نلحقها بالحيوانات. ولتحقيق هذه الغاية شارك بيتر سينجر في تأسيس الاتحاد الأسترالي لجمعيات الحيوانات، حتى أصبحت أستراليا الآن أكبر منظمة حيوانية، وأكثرها فعالية في البلاد. حتى توقف سينجر وزوجته "ريناتا" Renata عن أكل اللحوم في عام ١٩٧١م[٥]. وبحلول التسعينيات من القرن المنصرم أدت قيادة سينجر لحركة حقوق الحيوان الناجحة، وكذلك مواقفه المثيرة للجدل حول بعض المواقف الأخلاقية أن يُصبح من أكثر الفلاسفة شهرة فى العالم[٦].

يشير بيتر سينجر إلى أنه مؤسس منظمة "الحياة التي يمكنك إنقاذها"، وهي منظمة تستند إلى كتابه الذي يحمل نفس الاسم The Life You Can Save. وهى تهدف إلى نشر أفكاره حول سبب قيامنا بعمل المزيد لتحسين حياة الأشخاص الذين يعيشون في فقر مدقع، وكيف يمكننا القيام بذلك على أفضل وجه[٧].

يمكن القول تعقيبًا لما سبق طرحه أن حركة تحرير الحيوان ليست هى فقط السبب الرئيس في جعل شهرة سينجر تمتد إلى جميع البلدان العربية والأجنبية، إنما كانت لسينجر أيضًا آراء خطيرة جدًا عن موقفه حول الإجهاض Abortion، إذ نراه يبيح الإجهاض، ويجعله جائزًا أخلاقيًا مهما كانت الظروف، حيث يقول فى ذلك: "أنا أعتقد أن الغالبية العظمى من عمليات الإجهاض – على الأقل – لا تمثل خطأً

(4) Peter Singer. "About Me / C.V." *Facebook*, April 10, 2015, https://petersinger.info/about-me-cv, Accessed, (16/ 8/ 2015).
(5) Loc – Cit.
(6) Duignan, Brian: Peter Singer, op.cit, (17/ 7 / 2015).
(7) Peter Singer. "About Me / C.V." *Facebook*, op.cit, (16/ 8/ 2015).

أخلاقيًا، وأعتقد أيضًا أن الإجهاض الذي يتم من خلال طبيب يمتلك التراخيص الطبية لا يمثل أي جريمة جنائية، كما أرى أن الإجهاض لا ينبغي أن يكون مسألة دستورية"(٨).

كما قرر سينجر أيضًا أن كون الإجهاض جائز أخلاقيًا، ذلك لأنه أشبه بإخراج نفس إنسانية صغيرة من رحم امرأة أدمنت المخدرات، وعليها يكون الحمل هنا ضد إرادة الجنين Embryo، فالإجهاض دائمًا مماثل لإخراج ذاتك من جسد امرأةٍ مدمنة(٩). ولهذه المشكلات المثيرة للجدل احتج نشطاء بارزون عن المعاقين فى جامعة برينستون على تعيينه فى الجامعة، وكان ذلك عام ١٩٩٩م، وذلك بسبب رأيه المثير للجدل والغضب، الذى يقول فيه "أن القتل الرحيم(*) Euthanasia النشط للأطفال الرضع المصابين بإعاقة شديدة مسموح به أخلاقيًا فى بعض الحالات"(١٠).

يتضح من الأفكار السابقة أن بيتر سينجر حقًا، يمثل الفيلسوف المثير للجدل فى الأوساط الغربية، حيث مثلت أفكاره عن الإجهاض خطرًا كبيرًا على المجتمعات،

---

(8) Peter Singer: Practical Ethics, Cambridge University press, New York, Second Edition, 1999, p.124.

(9) Charles C. Camosy: Peter Singer and Christian Ethics, Cambridge university press, New York, First published, 2012, p.16.

(*) القتل الرحيم أو القتل رأفة بالمريض، تتمثل هذه المشكلة فى أن التزاوج بين الطب والتكنولوجيا، ساعد على إبقاء بعض المرضى الميئوس من شفائهم على قيد الحياة بطريقة قد تطول أو تقصر، وذلك من خلال أجهزة الإنعاش الصناعي، من هنا ذهب البعض إلى القول بعدم وجود مبرر قوي يمنع المريض الميئوس من شفائه من التخلص من آلامه المبرحة بواسطة التخلص من حياته. وهذا الفريق القائل بالقتل الرحيم يُناشد الأطباء بالتوقف عما يمكن تسميته بـــ"القتل الرحيم السلبى" Passive Euthanasia المتمثل فى محاولة الإرجاء الوهمى للموت المحتم بواسطة الأجهزة الطبية المساعدة. فليس هناك ما يبرر استمرار توصيل أجهزة التنفس الصناعي للمرضى المصابين بالغيبوبة، وإن نزع هذه الأجهزة لا يقتضى بالضرورة شعور الطبيب بتأنيب الضمير.

للمزيد أنظـــر – حسين على: العلم والقيم الأخلاقية – رؤية معاصرة، أم القرى للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص٦١.

(10) Duignan, Brian: Peter Singer, op.cit. (19/ 7 / 2015).

وهنا يتفق الباحث مع ما ذهب إليه "ميشيل سبيكتر" Michael Specter فى رؤيته لبيتر سينجر بقوله "أنه أشهر الفلاسفة الأحياء، وأكثرهم إثارة للجدل، بل أكثرهم تأثيرًا فى العالم، حيث كانت لأفكاره فى مجال الأخلاق Ethics شهرةً وانتشارًا واسعًا فى المجتمعات الناطقة بالإنجليزية، حيث أعطى للحيوانات غير البشرية قيمةً أخلاقيةً تماثل القيمة الأخلاقية للإنسان، فليس من الضرورى أن تكون حياة طفلٍ معاقٍ أكثر قدسيةً من حياة كلب أو شمبانزي، فالكل سواء"(١١).

يمكن إذن أن نوجز إجابتنا التعريفية ببيتر سبنجر فنقول أنه أستاذٌ لأخلاقيات البيولوجيا، وصاحب اهتمامات فلسفية عميقة، يتركز عمله على مناقشة قضايا الأخلاق العملية، وأشهرها قضية تحرير الحيوانات، كما تهتم كتاباته بمناقشة قضية الفقر العالمي."(١٢).

أما عن أهم ما كتب بيتر سينجر فى حقل الفلسفة عمومًا، ومشكلات الأخلاق البيولوجية بشكل خاص، كانت عدة كتابات، تم طرحها فى السيرة الذاتية لبيتر سينجر عبر صفحته الشخصية على الشبكة العنكبوتية، وكذلك ما تضمنته الموسوعة البريطانية من رصد واضح لأهم كتابات بيتر سينجر. وأهما كالتالى:

١. المجاعة، الوفرة والأخلاق Famine, Affluence, and Morality(١٩٧٢).
٢. الديمقراطية والعصيان Democracy and Disobedience (١٩٧٣).
٣. تحرير الحيوان Animal Liberation (١٩٧٥).
٤. ماركس Marx (١٩٨٠).
٥. هيجل Hegel (١٩٨٣).
٦. ثورة التكاثر The Reproduction Revolution (١٩٨٤) مشترك مع دين ويلز.
٧. الأخلاق التطبيقية Applied Ethics (١٩٨٦).

(11) Michael Specter: The Dangerous Philosopher, The New York, Septemeber 6, 1999, p.46.
(12) Peter Singer. "About Me / C.V. " *Facebook*, op.cit, (16/ 7/ 2015).

٨. يجب أن يعيش الطفل Should the Baby Live? (١٩٨٦) مشترك مع هيلجا كوه.

٩. حقوق الحيوان والإلزام البشري Animal Rights and Human Obligation(١٩٨٩).

١٠. التجريب على الجنين Embryo Experimentation (١٩٩٠).

١١. الأخلاق العملية Practical Ethics (١٩٩٣).

١٢. كيف نعيش؟ How Are We to Live? (١٩٩٥).

١٣. إعادة التفكير فى الحياة والموت Rethinking Life and Death (١٩٩٦).

١٤. دليل الأخلاق البيولوجية A Companion to Bioethics (١٩٩٨)، مشترك مع هيلجا كوشا.

١٥. اليسار الداروينى A Darwinian Left (٢٠٠٠).

١٦. عالم واحد One World (٢٠٠٢).

١٧. رئيس الخير والشر The President of Good and Evil (٢٠٠٣).

١٨. دفع الوقت بعيًدا Pushing Time Away (٢٠٠٣).

١٩. فى الدفاع عن الحيوانات In Defense of Animals (٢٠٠٦).

٢٠. الحياة التى يمكن إنقاذها The Life You Can Save (٢٠٠٩).

٢١. اتساع الدائرة: الأخلاق، التطور، التقدم الخلقى The Expanding Circle: Ethics, Evolution, and Moral Progress (٢٠١١).

٢٢. أفضل ما يمكن فعله The Most Good You Can Do (٢٠١٥).

ثانيًا: الجذور النفعية ومبدأ المساواة.

يدور المضمون الرئيس فى هذا المبحث حول تساؤل فلسفي عميق، هو: إلى أى حد جاءت فلسفة سينجر الأخلاقية متسقةً مع فلسفة بنتام النفعية ؟ وهل هذا يعنى أن فلسفة سينجر ما هي إلا إمتداد للفلسفة النفعية في الأخلاق؟

إن النفعية الأخلاقية بوجه عام كانت فى أصلها عبارة عن مسعى مسيحي، وكانت أفكارها المبكرة فى الدفاع عن اللاهوت الأخلاقي Moral Theology،

وعليها أصبحت النفعية مهمة للغاية، حيث تمثل وحدة دينية وسياسية[١٣]. وهى تدين فى اسمها إلى "مبدأ النفع" Principle of Utility الذى صاغه "جيرمى بنتام" فى كتابه "مبادىء الأخلاق والتشريع" Principles of Morals and Legislation عام ١٧٨٩م، ثم تطورت بعد ذلك فى القرن التاسع عشر عند "جون ستيوارت مل" J.S. Mill (١٨٠٦ – ١٨٧٣) الذى أعطاها مسمى "النزعة النفعية" Utilitarianism فى كتابه "الأخلاق" عام ١٨٦١م، كذلك وجدت هذه النظرية عند فيلسوف مدرسة كيمبردج "هنرى سيدجويك" Henry Sidgwick (١٨٣٨م – ١٩٠٠م) فى كتابه "منهج الأخلاق" The Method of Ethics الذى خرج إلى النور عام ١٨٧٤م[١٤].

وباختصار موجز، يمكن القول إن مذهب المنفعة الأخلاقي عبارة عن "مجموعة القواعد التى ينبغى أن يسير بمقتضاها السلوك البشرى لتحقيق السعادة لأكبر عدد من الناس"[١٥]. وهذا التعريف أخذ به جموع النفعيين الأخلاقيين في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، بل يمكن القول أن هذا التعريف هو القاعدة الرئيسة في فلسفة بيتر سينجر بوجه عام، وفلسفته الأخلاقية ودحض العنصرية بوجه خاص، حيث بنى عليها فلسفته عن الحيوان وما يتطلبه هذا الأعجم من حقوق، ومن هذه القاعدة خرج سينجر بفكرة "تحقيق أعظم قدر من السعادة لأكبر عدد من الناس"[١٦]، من حيز الكائنات البشرية العاقلة لكي يطبقها على الحيوانات غير البشرية، بل كانت هذه الفكرة هى صلب فلسفته عن المساواة ودحض العنصرية.

إذا كانت السعادة Happiness تعني في منهج النفعيين الأخلاقيين "النظرية المفسرة لمجموع اللذات pleasures فاللذة هي الخير Good كما أن الألم Pain هو

(13) John Perry: What did Utilitarianism come from, essay in "God, The Good and Utilitarianism", edited byJohn Perry, Cambridge University press, New York, First Edition, 2014, p.17.

(14) A. J. Ayer: Freedom and Morality- and Other Essays, Clarendon Press, Oxford, New York,1984, pp.35-36.

(15) Edward Westermark: Ethical Relativity Kegan Paul, Trench, Trubner & Co, LTD, London, 1932, p.7.

(16) Dudley Knowles: Political Philosophy, Routledge, London, 2001, p.24.

الشر[١٧]. ويترتب على ذلك أنه يجب علينا جميعًا من الناحية الأخلاقية أن نعمل جاهدين طول الوقت لزيادة معدل السعادة على معدل الشقاء Misery ، ولكن هذا الموقف الذي اتخذته هنا – على حد تعبيره – لن يؤدي إلى هذا الاستنتاج في جميع الظروف، لأنه إذا لم تكن هناك أحداث سيئة يمكن أن نمنعها دون التضحية بشيء ذي أهمية أخلاقية مماثلة، فلن يكون لحجتى هذه أى تطبيق[١٨].

وعلى هذه الجدلية النفعية المقدمة فى كون اللذة هى الخير، والألم هو الشر يكون الحكم على الأفعال سواءً كانت خيرًا أم شرًا من خلال النظر إلى نتائجها، وللعلم إن هذا المبدأ النفعي – كما يراه سينجر– قد تعرض للهجوم والنقد من قبل الكثيرين لظنهم إن تطبيق هذا المبدأ يتعارض مع قناعاتنا الأخلاقية العادية Ordinary Moral Convictions، أضف إلى ذلك إن معظم الانتقادات الموجهة لمبدأ المنفعة العامة لم تكن انتقادات حاسمة بالمرة[١٩].

يدافع بيتر سينجر عن مبدأ النفعية الأخلاقية بقوله "إنه توجد نظرية واضحة، وثابتة في الحقل الأخلاقي، وهذه النظرية بسيطة ولا يمكن المساس بها Quite Untouched ، وهي النظرية الأكثر شهرةً في حقل الدراسات الأخلاقية حيث ترتبط دائمًا بنتائج الأفعال، وهي التي يمكن أن نطلق عليها مسمى نظرية نتائج الأفعال Consequentialist Theory أو النظرية النفعية"[٢٠].

ويؤكد بيتر سينجر دفاعه عن النفعية البنتامية في نص صريح له بقوله "أنا نفعيٌّ وأنا أيضًا نباتيٌّ، وأنا نباتيٌّ لأنني نفعيٌّ. وأنا أرى ضرورة تطبيق مبدأ المنفعة في حياتنا الراهنة، وبصفة خاصة إذا نظرنا إلى الأساليب المستخدمة لتربية الحيوانات والغذاء الذي يقدم لها، يجعلني استنتج من مبدأ المنفعة فكرة أنني إنسانٌ

(17) D. D. Raphael: Moral Philosophy, Oxford University Press, New York, 1981, p.34.
(18) Peter Singer: Famine, Affluence, and Morality, Philosophy & Public Affairs, Vol. 1, No. 3 (Spring, 1972), p.238.
(19) Peter Singer: Is Act-Utilitarianism Self-Defeating? The Philosophical Review, Vol. 81, No. 1 (Jan., 1972), p.94.
(20) Peter Singer: Practical Ethics, op.cit, p.3.

نباتيٌ"[٢١]. وعليها يكون مبدأ المنفعة متضمناً في فكرة المساواة، وأن سينجر أيضًا أخذ بهذا المبدأ وقام بتطويره، لكي يكون المبدأ العام الذي يحكم الحياة بين العاقل والأعجم. فإذا كان بنتام مهتمًا بتطبيق هذه الفكرة بين بني الإنسان العاقل، فإن سينجر أراد تطبيقها لتشمل الحيوان الأعجم، حتى يكون هناك مساواة بين الإنسان والحيوان في الحقوق الحياتية، كما يتضح أن سينجر من أهم الفلاسفة المهتمين بالبيئة، وما يوجد بها من نباتاتٍ، وحيواناتٍ عاقلة، وغير عاقلة.

ثالثًا: المساواة ودحض العنصرية.

إن الأساس الرصين الذى أخذ عنه سينجر مبدأ المساواة Principle of Equality هو إيمانه العتيد بفلسفة بنتام النفعية، حيث إن مصالح المجموع أو اهتماماتهم مرتبطة دائمًا بالاهتمامات الشخصية للفرد، لذا يجب أن يراعي الفرد ألا يكون الناتج من تصرفاته ضررًا للمجموع، فالكل متساوٍ في الاعتبارات الأخلاقية، لذا رفض بيتر سينجر التمييز البيولوجي القائم بين البشر على أساس العرق أو الجنس، حيث إن التمييز بين البشر يعد عائقًا أصيلاً لمبدأ المساواة، فإذا كانت رغبتنا في أن تكون أخلاقياتنا متسقةً مع مبدأ النفعية الأخلاقية، فإنه يجب ألا نشجع فكرة التمييز البيولوجي بين البشر على أساس العرق أو الجنس، ويجب علينا أن نحاول القضاء عليها[٢٢].

كما أن الأحكام الذاتية Autonomy الفردية دائمًا ما تنطوى على فهم خاطئ للذات الإنسانية بإعتباره عميلًا عقلانيًا ومستقلًا عن كل السياقات الاجتماعية، وبالتالى يكون الحكم الذاتي قادرًا على أخذ قراراته المصيرية بعيدًا تمامًا عن أخلاقيات البشر[٢٣]. وذلك على النقيض مما قاله الفيلسوف الأمريكى "هنري ديفيد ثورو"

(21) Peter Singer: Utilitrianism and Vegetarianism, Philosophy & Public Affairs, Vol. 9, No. 4 (Summer, 1980), p.325.

(22) Paola Cavalieri: The Animal Debate: A Reexamination, An Essay In "In Defense of Animals" Edited by Peter Singer, Blackwell Publishing Ltd, 2006, p.64.

(23) Sharon Ikonomidis and Peter Singer: Autonomy, Liberalism and Advance Care Planning, Journal of Medical Ethics, Vol. 25, No. 6 (Dec., 1999), p.522.

H.D. Thoreau (١٨١٧ – ١٨٦٢) الذي كان محور فلسفته يدور حول الفردية والاستقلال بالذاتية، فالفرد – على حد تعبير ثورو – مملكة وحده على الأرض، كما أن القول بأن الفرد خلق لعيش فى مجتمع أكذوبة كبرى، فالعكس هو الصواب، حيث إن المجتمع خلق من أجل الفرد(٢٤).

وإذا كان سينجر بوصفه فيلسوفًا أستراليًا يقف على النقيض من محدثه ثورو الذى نادى بالفردية والأحكام الذاتية، فإن ذلك لكون سينجر مؤمنًا بفكرة العدالة الاجتماعية Social Justice حيث يرى سينجر أن المفهوم الليبرالى للحكم الذاتى يصور الفرد ككيان منفصل عن الآخرين، وله وجهة نظر شخصية وفردية مميزة عن غيره، كما أن حياته كامنة في البحث عن مصلحته الشخصية بعيدًا عن أعين الآخرين، ولكنه وللأسف لا يفترض مجرد افتراض أن يكون هذا الفرد ذاته مرتبطًا بالآخرين، ولو بطريقه خارجية عن طريق الخطأ، ولكنني أردد دائمًا أن مصالح المجموع مقدمة على مصالح الفرد الذاتية، لأن الاستقلالية الليبرالية تستلزم حرمان الفرد من العدالة الاجتماعية(٢٥).

إن الاستقلال الذاتى لا يعنى أن يكون من حق الشخص اختيار مصالحه الشخصية بناءً على رغباته وحدها، فمصالح الآخرين هى بالضرورة عامل حاسم فى عملية صنع القرار، كما أن الاستقلال الذاتى ما هو إلا إنكار لأولوية القيم المشتركة بين أفراد المجتمع(٢٦). وعليها يرفض سينجر فكرة العنصرية والاستقلالية في الأحكام، بل يرفض تمامًا كل ما يجعل الفرد يعيش منعزلًا عن أفراد مجتمعه، ويرفض أيضًا كل النظريات القائمة على الجنس أو العرق، حيث إن التمييز القائم على قاعدة الجنس هو آخر شكل مقبول عالميًا من أشكال التمييز بين البشر،

(٢٤) زكي نجيب محمود:حياة الفكر فى العالم الجديد، دار الشروق،الطبعة الثانية،١٩٨٢م، ص٦٥.

(25) Sharon Ikonomidis and Peter Singer: Autonomy, Liberalism and Advance Care Planning, op.cit, p.523.

(26) Loc – Cit.

ويمارس بلا تكتُّم أو ستار حتى فى تلك الأوساط المتحررة التى طالما تباهت بتحررها من التمييز ضد الأقليات العرقية(٢٧).

وهناك أيضًا صور للتمييز البيولوجي بين البشر، وتعد أيضًا من عوائق المساواة، وهي التمييزات القائمة على أساس المستوى العقلي Mental Level أو الذكاء، فعندما يكون المستوى العقلي لشخص ما أعلى نسبيًا من شخص آخر، فإن حالته ووضعه الأخلاقي يكون أعلى فى المجتمع، وعلى الرغم من أن هذا يُعد نوعًا من أنواع الكمال العقلي إلا أنه عبارة عن – كلمة جميلة لشيء قبيح – وعليها فإن المنادين بالمساواة في الحقبة المعاصرة قد رفضوها، وتجادلوا من خلال مواجهتهم بالحقيقة أن البشر جميعهم مختلفون في قدراتهم العقلية، وأن الرضا باهتماماتنا ومصالحنا هو شيء مهم(٢٨).

إن سينجر يرفض التمييز العرقي، أو الجنسي، أو العقلي بين البشر، ويؤكد ذلك بالرجوع الدائم إلى فلسفة بنتام الأخلاقية، حيث رفض بنتام من قبل فكرة التمييز ونادى بالمساواة فى الحقوق بين الكائنات الحية، حيث عبر بنتام عن القاعدة الأساسية للمساواة فى منظومته الأخلاقية بقوله: "لكل فرد حسبانه مثله مثل غيره"، وبكلمات أخرى: "إن مصالح كل كائن يؤثر فيه فعل ما، ينبغي أخذها في الحسبان وإعطاؤها الأهمية عينها كالمصالح المماثلة لأي كائن آخر"(٢٩). من خلال هذه القاعدة كان بنتام – على حد تعبير سينجر – من الفلاسفة القلائل الذين أدركوا ضرورة عدم التمييز في المعاملة، فإذا كانت حيازة درجة عالية من الذكاء لا تخول أحد البشر استخدام

(٢٧) بيتر سينجر: كل الحيوانات متساوية، بحث منشور ضمن كتاب "الفلسفة البيئية"، تحرير/ مايكل زيمرمان، ترجمة/ معين شفيق رومية، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣٣٢، الكويت، ٢٠٠٦م، ص٥٤.

(28) Paola Cavalieri: The Animal Debate: A Reexamination, op.cit, p.64.

(٢٩) بيتر سينجر: كل الحيوانات متساوية، مصدر سابق، ص٥٩.

آخر لغاياته الخاصة، فكيف يمكن أن تخول البشر استخدام غير البشر(٣٠). حيث إن السلوك الاجتماعى للإنسان لابد أن يتم تفسيره فى حدود المصطلحات البيولوجية(٣١).

يرى سينجر إن مفتاح علم الاجتماع البيولوجى Sociobiological هو الاعتقاد بأن كل السلوك الإنسانى اجتماعى بالطبع، بما فى ذلك سلوك البشر، لكونه ينبع من أساسًا بيولوجيًا، وهو نتيجة لعملية تطورية تختار بعض الجينات Genes أو مجموعة من الجينات المفضلة، ولذلك لابد أن نتخلى عن فكرة الخلق الإلهي Divine Creation ونقبل الفكرة التى تقول أن الإنسان العاقل هو واحد من بين عدة أنواع من الثديات الاجتماعية، وبالتالى لابد أن ندرك أننا جميعًا عبارة عن حيوانات اجتماعية Social Animal(٣٢)، كما أن كُتّاب البيولوجيا الاجتماعية Sociobiology وعلم الاجتماع السلوكى يتعاملان إلى حد كبير مع علم الأحياء الاجتماعى للحيوانات غير البشرية، فى حين يجعلون الفصول الأخيرة فى كتاباتهم عن جنسنا البشري فقط(٣٣).

من أجل توطين فكرة المساواة يرى بيتر سينجر "إنه فى السنوات الأخيرة، قام عدد من المجموعات المضطهدة بحملات نشيطة من أجل المساواة. والمثل الكلاسيكي على ذلك هو حركة تحرير السود التى طالبت بإنهاء التحيز والتمييز اللذين جعلا السود مواطنين من الدرجة الثانية. إن الإعجاب الحالي بحركة تحرير السود وبداياتها على الرغم من نجاحها المحدود، قد جعلها نموذجًا يحتذى للمجموعات المضطهدة الأخرى، فقد أصبحنا على دراية بحركات تحرير الأمريكيين ذوي الأصل الأسباني، والمثليين، ومجموعة منوعة من الأقليات الأخرى. وعندما استهلت النساء حملاتها، اعتقد البعض أننا وصلنا إلى نهاية الطريق"(٣٤).

---

(٣٠) مصطفى النشار: مدخل إلى فلسفة البيئة والمذاهب الأيكولوجية المعاصرة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م، ص٦٩.

(31) Peter Singer: Ethics and Sociobiology, Philosophy & Public Affairs, Vol. 11, No. 1 (Winter, 1982), p.43.

(32) Ibid: p.42.

(33) Ibid: p.44.

(٣٤) بيتر سينجر: كل الحيوانات متساوية، مصدر سابق، ص٥٤.

إن ما سبق طرحه يؤكد حقيقة مهمة فى فلسفة بيتر سينجر الإيكولوجية، وهى اعتمادها بشكل كلي على فلسفة بنتام النفعية، فكانت فلسفة بنتام الأخلاقية بمثابة التنظير للقواعد الأخلاقية، بينما فلسفة سينجر هى تطبيق واقعى لهذا التنظير البنتامي، وعليها يمكن القول إن فكرة المساواة التى شغلت سينجر وبنتام من قبله، هي الفكرة ذاتها التى سيخرج بها سينجر من حقل المساواة بين البشر ليطبقها على الحيوانات غير البشرية على أساس كونها كائنات حية تشعر وتتألم مثلها مثل الإنسان، وعليها يمكن القول إن فكرة المساواة فكرة بنتامية من الدرجة الأولى. مع العلم إن هذه الفكرة أيضًا قديمة تعود إلى الأعراف الوثنية، والمسيحية من بعدها، فقد نُسب إلى موسى عليه السلام قوله "أحب لجارك كما تحب لنفسك"، وقد جاء فى التلمود اليهودي The Talmud "ما تكرهه، لا يجب عليك أن تقوم بفعله لأتباعك"، وعليها يكون مبدأ الاعتبار فى التساوي أن نضع أنفسنا مكان الآخرين المتأثرين بأفعالنا(٣٥). أو على حد تعبير بريان دوجنان Brian Duignan على لسان سينجر"إنه لا يوجد فرق أخلاقي إذا كان الشخص الذي يمكننى مساعدته هو طفل الجار الذي يبعد عني بمقدار عشرة ياردات أو لكونه أحد البنغاليين الذين لن أعرفهم أبدًا، ويبعدون عني بعشرات الآلاف ميل"(٣٦).

وإذا كان بيتر سينجر يؤكد على عدم التمييز بين البشر، فهو يؤكد على حقيقة مهمة ألا وهي رفض المصالح الذاتية أو الشخصية، فطبقًا لمبدأ المنفعة لا وجود لمصالح ذاتية لأفراد دون آخرين، حيث يرى سينجر أن الاعتماد على المصالح الشخصية قد تؤدي إلى عواقب وخيمة، ويكون فيها هلاك البشرية جمعاء، حيث تؤدي المصالح الذاتية إلى إنهيار المجتمع وتفكك عناصره، حيث يسعى كل

(35) Gaverick Matheny: Utilitarianism and Animals, An Essay In "In Defense of Animals" Edited by Peter Singer, Blackwell Publishing Ltd, 2006, pp.13,14.

(36) Brian Duignan: Peter Singer, op.cit, (21/ 8 / 2015).

فرد فيه إلى تحقيق ما يصبو إليه من مصالح ورغبات شخصية، مما يجعل الفرد يقوم بهجر عائلته الكريمة ويرفض التعاون معها فى حياة اجتماعية يسودها الحب ويقودها الدين، وبالتالي لا يهتم فيها الفرد إلا بمصالحه الشخصية(٣٧).

تكمن غاية الأخلاق البيولوجية فى فلسفة سينجر الأيكولوجية حول حصد المنافع ودفع المفاسد، ويكون ذلك من خلال مبدأ الإيثار أو الغيرية Altruism الذي نادى به بنتام من قبل، حيث قرر بنتام أن المصلحة الذاتية تتطلب من صاحبها أن ينشد تحقيق مصلحة المجموع(٣٨). حيث إن الدوافع الناشئة عن الجينات الإيثارية التى تنشأ عن طريق اختيار المجموعة – على حد تعبير سينجر – تتعارض مع الدوافع الأكثر أنانية التى تنشأ عن الجينات التى يفضلها الاختيار الفردى، فاختلافات العمر والجنس هنا قد تسبب الكثير من التناقضات الأخلاقية(٣٩).

ويؤكد سينجر على أن المساواة مطلب إنسانى ضرورى، وأن الإنسان بفطرته حيوان اجتماعى بقوله "إن تعميم الأحكام الأخلاقية يتطلب أن نتجاوز التفكير فى المصالح الشخصية والاهتمامات الذاتية، بل يجب أن نعطي اهتمامًا مساويًا لكل من يتأثرون بأفعالنا"(٤٠). حيث إن عواقب عدم المساواة ستكون خطيرة جدًا وبشكل واضح على كل من يفيد منها(٤١). وعليها يتجاوز سينجر بمبدأه في الإيثار حدود الوراثة من الآباء والأبناء في الأسرة الواحدة ليطبقه على المجتمع بأثره، بل أيضًا ليطبقه على من هم خارج مجتمعنا من الفقراء والمحتاجين(٤٢). وإذا تم تطبيق مبدأ الإيثار فإن السعادة التى ينشدها المجموع سوف تُطبق تطبيقًا فعليًا، ويصبح الجميع

(37) Peter Singer: Expanding Circle: Ethics and Sociobiology, Farrar Straus & Giroux, New York, I98I, pp.24,25.

(٣٨) توفيق الطويل: مذهب المنفعة العامة فى فلسفة الأخلاق، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٥٣م، ص١٠٩.

(39) Peter Singer: Ethics and Sociobiology, op.cit, p.51.

(40) Peter Singer: How Are We Live, Random House Australian Press, Australia, 1997, p.219.

(41) Peter Singer: Ethics and Sociobiology, op.cit, p.52.

(42) Peter Singer: Expanding Circle: Ethics and Sociobiology, op.cit, p.13.

متساويًا فى الحقوق، وبالتالى تختفي القيم السلبية من ظلم وقهر من جميع المجتمعات.

وإذا كانت النظرة المقبولة فى معظم المجتمعات البشرية تقرر انه من المناسب إعطاء الأولوية لعائلاتنا وأقاربنا، والاهتمام أيضًا برفاهيتهم أكثر من الاهتمام برفاهية الغرباء، فإن التفسير البيولوجى لانتشار الأقارب يقوض هذا الإدعاء، فإذا كانت النظريات التى تقرر أنه من الصواب إعطاء الأولوية لعائلاتنا وأقاربنا بدلاً من الغرباء مستمد من العملية التطورية لاختيار الجينات، فإنه هنا يفقد أى مصداقية تبدو وكأنها حقيقة أخلاقية بديهية(٤٣).

ويسترشد بيتر سينجر فيما سبق طرحه بما قاله ديفيد هيوم D.Hume (١٧١١ – ١٧٧٦) فى كتابه "رسالة فى الطبيعة البشرية"، حيث إن هيوم – كما يقول سينجر – افتتح مناقشته للعدالة Justice من خلال طرح سؤال حول ما إذا كانت العدالة فضيلة طبيعية أم مصطنعة؟ وفى مناقشة هذا السؤال يجيب هيوم: "أن الرجل يحب أطفاله بشكل طبيعي أكثر من أبناء أخيه، وأبناء أخيه أكثر من أبناء عمومته، وأبناء عمومته أكثر من الغرباء، حيث إن كل شيء آخر متساوٍ، ومن هنا تنشأ رغباتنا المشتركة، وتفضيل الآخر على الآخر"(٤٤).

ولا يكتفي سينجر بتطبيق مبدأ المساواة بين البشر وحسب، بل كان من أكثر المؤيدين لحقوق المرأة أيضًا، وكذلك فكرة التعليم العام، والصحة العامة، فقد اهتم كل من آمن بمذهب المنفعة العامة ببعض الحالات الأخلاقية التى يدور حولها الجدل مثل فكرة الإحسان، والاهتمام بالفقراء والمرضى، مع العلم أن مبدأ المساواة هذا يقودنا إلى آراء أخلاقية الكثير منا قد لا يقبلها، ومن ضمن هذه الآراء هى فكرة مساواة الحيوان بالإنسان(٤٥). فعلى حد تعبير سينجر إذا كانت الحيوانات لا تمتلك نفس

(43) Peter Singer: Ethics and Sociobiology, op.cit, p.56.
(44) Peter Singer: Ethics and Intuitions, The Journal of Ethics, Vol. 9, No. 3/4, Devoted to James Rachels (2005), p.334.
(45) Gaverick Matheny: Utilitarianism and Animals, op.cit, p.16.

القدرات العقلية التى يمتلكها الإنسان، إلا إنها تمتلك المشاعر والأحاسيس التى يمتلكها الإنسان(٤٦).

يرى سينجر إن الاقتراح السابق الذى قدمه ليشمل الإنسان والحيوان في مبدأ المساواة، إنه "قد يبدو اقتراحًا غريبًا لأول مرة، حيث تعودنا فى التمييز ضد الأفراد العرقية أو ضد النساء أو بين القضايا الأخلاقية والسياسية التى تواجه العالم اليوم، وهذه أمور خطيرة بالفعل وتستحق من كل إنسان أن يبذل وقته وطاقته فى البحث عنها. ولكن الحيوانات ؟ ورفاهية الحيوانات ؟ أظن أنها أصبحت مسألة لمن لهم خبرة فقط بالكلاب والقطط، فكيف يمكن لأى شخص أن يهدر وقته فى إشكالية المساواة للحيوانات، وقد حُرم الكثير من البشر من هذه المساواة الحقيقية"(٤٧). لذلك يرى سينجر أن البيولوجيا الاجتماعية التى ينادى بها لم تخلُ من النقد، حيث يرى نقادها أنها جزء من الأساس الأيديولوجى لظهور اليمين السياسى، وأنها وسيلة لتبرير الفردية والأنانية الأخلاقية Ethical Egoism ، وعدم المساواة وهيمنة الذكور، وكذلك يرونها سببًا فى ظهور الأخلاق الجنسية Sexual Morality، وظهور الأسرة النووية، وكره الأجانب وحب الحرب(٤٨). وعلى كِل فالنقاش الدائر بين أولئك الذين يرون أن البيولوجيا الاجتماعية أول علم حقيقى للطبيعة البشرية، وأولئك الذين يعتبرونه آخر بدعة من الأيديولوجيين الرأسماليين سيظل مستمرًا للأبد(٤٩).

مما سبق يتضح أن فلسفة بيتر سينجر ما هى إلا امتداد لفلسفة جيرمي بنتام النفعية، حيث بدت الجذور النفعية فى فلسفته بشكل واضح، من حيث مبدأ المنفعة العامة الذي تبناها سينجر، وهو تحقيق أعظم قدر من السعادة لأكبر عدد من الناس، أو من خلال تطبيق مبدأ المساواة بين العاقل والأعجم. وينتهي سينجر من كل ما سبق موضحًا فكرةً إيمانيةً فى ظاهرها، وإن بدت سياسيةً فى معناها بقوله: "كل

(46) Peter Singer: Practical Ethics, op.cit, p.68.
(47) Ibid: p.55.
(48) Peter Singer: Ethics and Sociobiology, op.cit, p.41.
(49) Loc – Cit.

أيامنا وسنواتنا متساوية في قيمتها مهما كانت النتائج، فالموت ليس مأساة في وقت أكثر منه مأساة فى وقت آخر، فالموت هو الموت، فالحياة البشرية بكاملها متساوية فى القيمة، لا تدوم مدتها، ولا تدوم جودتها، ولا تدوم ضحكتها"(٥٠).

رابعًا: تحرير الحيوان.

ما الكيفية التى اعتمد عليها سينجر فى دعم حجته من أجل تحرير الحيوان؟ وإلى أى حد دافع سينجر عن فكرة حقوق الحيوان؟ وهل المساواة التى يطلبها للحيوان هى مساواة حقيقية أم مجازية؟ وما الكيفية التى اعتمد عليها فى توطين أفكاره؟

هذه بعض الإشكاليات البسيطة، والتى عليها بُنيت فلسفة سينجر الأيكولوجية فى الحيوان، لذا سيحاول البحث الإجابةَ عنها من خلال نصوص بيتر سينجر الواردة فى مقالاته، وكتاباته الرائدة لحركة تحرير الحيوان، وإن كانت الإجابة هنا تخلو من العمق، والدقة،,واليقين. وذلك لكون فلسفة سينجر الأيكولوجية تحتاج إلى مزيد من الدراسات والتفسيرات.

فى البدء يقرر سينجر إن الاختلاف بين مصطلح "حركة تحرير الحيوان" ومصطلح "حركة حقوق الحيوان" لا يهم كثيرًا، حتى وإن كانت هناك اختلافات لفظية بين المصطلحين، فقد وافقت ريجان(*) Regan (١٩٣٨م _ ٢٠١٧م) في مبدأ القضاء على جميع الأعمال الوحشية التى تمارس الآن على الحيوانات سواءً كانت

(50) Peter Singer and Helga Kusha: Resolving Arguments about the Sanctity of Life: A Response to Long, Journal of Medical Ethics, Vol. 14, No. 4 (Dec., 1988), p.198.

(*) توم ريجان فيلسوف أمريكي من مواليد ٢٨ نوفمبر ١٩٣٨م، وهو أستاذ فخري في جامعة كارولينا بالولايات المتحدة الأمريكية، حيث اشتغل بالتدريس بها بين عامي ١٩٦٧م، وحتى تقاعده في عام ٢٠٠١م، وقد اهتم ريجان بقضية حقوق الحيوان، وهو صاحب تأثير كبير على أنصار حركة حقوق الحيوان. ومن أهم مؤلفاته: الدفاع عن حقوق الحيوان، وأقفاص فارغة.
أنظـــر– مصطفى النشار: مدخل إلى فلسفة البيئة والمذاهب الأيكلولوجية المعاصرة، مرجع سابق، ص٦٨.

فى المعامل، أو المصانع، أو حتى فى المزارع البرية، فلابد لكل إنسان أن يتحدث عن حقوق الحيوان مثلما يتحدث عن حقوق الإنسان(٥١). فلماذا نعتقد دائمًا أن المشكلات الخاصة بالجنس البشري أكثر أهميةً من المشكلات الخاصة بالحيوانات؟ هل ذلك لكوننا نحن البشر! هكذا ينظر أصحاب الجنس الأبيض في حسم المشكلات العنصرية بينهم وبين باقي الجنس البشري، كما يفعلون ذلك أيضًا في التمييز بين الجنس البشري وبين الحيوانات، فهم يزعمون دائمًا أن المشكلات الخاصة بالحيوانات أقل أهمية عن مشكلات الإنسان، حتى وإن كانت هناك مشكلات فكيف يمكن للمرء أن يقرر أن هناك مشكلات حقيقية قبل التحقيق فى التفاصيل بأن هناك وضعًا أخلاقيًا خاصًا بالحيوان – أو ما يسمى – أخلاقيات الحيوان(٥٢).

يبدو من النص السابق للفيلسوف محور الدراسة أن مبدأ المساواة هو البداية الحقيقية فى الدفاع عن حقوق الحيوان، حيث رأها سينجر مطلبًا أساسيًا للحيوان حتى يتساوى بالإنسان، فعندما طرح "هنري سولت" كتابه عن "حقوق الحيوان" لأول مرة عام ١٨٩٢م، تساءل في مقدمة كتابه "هل يمكن أن يكون للحيوان حقوق؟" ، وقد أجاب "سولت" بنفسه على سؤاله قائلًا : "إذا كانت هناك أية حقوق يمتلكها البشر، فإن هذه الحقوق أيضًا يمتلكها غير البشر من الحيوانات"(٥٣). أى أن الركيزة الأساسية في بناء فلسفة الحيوان الأيكولوجية هي المساواة في الحقوق. فقضية المساواة هذه لا تعتمد على الذكاء Intelligence أو الاستعداد الخلقي أو القوة الفيزيائية أو وقائع مشابهة لذلك، فالمساواة عبارة عن فكرة أخلاقية Moral Idea وليست توكيدًا بسيطًا لواقعة. وأيضًا هي ليست وصفًا Description للمساواة الفعلية المزعومة بين البشر(٥٤).

(51) Peter Singer: Animal Liberation or Animal Rights? The Monist, Vol. 70, No. 1, Animal Rights (January, 1987), p.3.
(52) Peter Singer: Why Nozick Is Not So Easy to Refute? The Western Political Quarterly, Vol. 29, No. 2 (Jun., 1976), p.192.
(53) Peter Singer: Animal Liberation or Animal Rights? Op.cit, p.3.
(54) Peter Singer: Animal Liberation, Library of Congress Cataloging-in-Publication, New York, 2002, pp.3,4.

إذا كانت المساواة هي المطلب الرئيس في فلسفة الحيوان التي أقرها بيتر سينجر، فإن الكيفية الأولى التى اعتمد عليها فى توطين فلسفة المساواة كانت فكرة الاهتمام، فتراه يقول: "إن إسناد فكرة الحقوق Rights للحيوانات ليست هى السبيل الوحيد لتغيير حالتهم الأخلاقية، حيث يمكن للإنسان أن يطرح قضية التغيير هذه في حقيقة مفادها – أن الحيوانات لديها اهتمامات interests ، وهذه الاهتمامات هي محور العديد من النظريات الأخلاقية، مثل النظرية النفعية على وجه الخصوص التى بُنيت على فكرة الاهتمامات أو المصالح المشتركة، أو تجربة السرور والألم Pleasure and Pain ، أضف إلى ذلك أن جميع النظريات القائمة على فكرة الاهتمام هى نظريات ذات طابع نفعي، ومن ثم لا يتعين على المرء أن يكون نفعيًا حتى يأخذ بفكرة الاهتمامات كمبدأ يستند إليه فى الأحكام الأخلاقية"(٥٥).

ولتأكيد فكرة الاهتمامات يقول سينجر: "لقد أعطيت الأسباب الأساسية للاعتقاد في القول بفكرة المساواة بين البشر حيث تتضمن هذه الفكرة المساواة أيضًا فى الاهتمامات، وهذا هو المبدأ الأخلاقي الرئيس الذي يسمح لنا بالدفاع عن شكل آخر من أشكال المساواة التى تحتضن فى داخلها جميع البشر، حيث لا يجب أن تكون المساواةُ قاصرةً على البشر فحسب. وبعبارة أخرى، إذا كانت فكرةُ المساواةِ أساسٌ أخلاقيٌ واضحٌ يضمن سلامة العلاقات مع الآخرين من جنسنا البشري، فإننا ملتزمون هنا أيضًا – لقبولها كأساس خلقيٍ واضحٍ – للعلاقات مع من هم خارج جنسنا من الحيوانات غير البشرية"(٥٦).

يرى بيتر سينجر إن حجة توسيع نطاق مبدأ المساواة فيما يتجاوز جهودنا الخاصة كبشر من نوع واحد، هى حجة بسيطة لكونها لا تتطلب أكثر من فهم واضح لطبيعة مبدأ المساواة، وذلك بالنظر إلى فكرة الاهتمامات، فعلى سبيل المثال: إن القول بأن البعض من الناس ليسوا أعضاءً فى عنصريتنا لا يخول لنا استغلالهم، أو القول إن بعض الناس أقل ذكاءً من الآخرين لا يعنى أن هؤلاء البشر ليسوا أعضاء

(55) Peter Singer: Animal Liberation or Animal Rights? Op.cit, p.5.
(56) Peter Singer: Practical Ethics, op.cit, p.55.

جنسنا. وعليها فإن هذا القول لا يعطينا الحق فى استغلالهم، وكذلك ينطبق هذا القول بالضرورة على الحيوانات غير البشرية الأخرى التى هى بالفعل أقل ذكاءً من البشر، ولكن هذا القول لا يعنى أن نتجاهل اهتماماتهم والتغاضى عنها(٥٧).

ولأجل توطين فكرة الاهتمام يؤكد سينجر أن مجرد وجود كائن ما عضوًا فى جنسنا البشرى وكائناً آخر ليس كذلك، فإن هذا الأمر لا يمكن أن يخول لنا إلحاق الألم والموت بهذا الآخر، فى الوقت الذى لا يملك فيه الآخر أى مبررات لإلحاق الألم والموت بنا، فلا يوجد أى أساس للفكرة التى تنادى بأن البشر كانوا متفوقين فيما يتعلق بالوعى والعقلانية، وأن غيرهم من الحيوانات غير البشرية ليسوا كذلك، فلا توجد قدرات عقلية تتجاوز القدرة على الشعور بالألم والمعاناة. وننتهى من هذا الأمر بالقول، أنه لا وجود لاختلافات بين هذين الموضوعين التجريبيين سواءً فى الأنواع أو الثديات، فالاختلافات هنا ليست كافية لوجود فروق فى الشعور بالألم والمعاناة بين الإنسان والحيوان(٥٨). لذلك كانت الأحكام الأخلاقية مرتبطةً إرتباطًا وثيقًا بفكرة المعاناة والسعادة، فالحكم لا يكون حكمًا أخلاقيًا إلا إذا كان مرتبطًا بطريقة ما بالمعاناة والسعادة، والحكم لا يكون معنويًا أيضًا إلا إذا كان حكمًا محايدًا. بمعنى، أنه لا يجوز إعطاء أهمية تعسفية لمعاناة شخص معين أو سعادته أو مجموعة من الأشخاص أكثر من معاناة وسعادة شخص آخر(٥٩).

ولقد جاء فى الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام ١٩٤٨م، فكرة مهمة جدًا، مؤداها أنه من الخطأ استبعاد أى عضو فى الجنس البشري من دائرة الإهتمام الخلقى moral concern ، وتعد هذه الرؤية التنويرية تقدمًا هائلاً مقارنة لآراء أكثر تقييدًا حول – من المقصود بالاهتمام الخلقى؟ – ومع ذلك، لا يزال عددٌ أكبر بكثير من الكائنات التى يمكنها الاستمتاع بالحياة والإحساس بالألم والمعاناة ألا وهم –

(57) Loc – Cit.
(58) Peter Singer: To do or not to do, The Hastings Center Report, Vol. 19, No. 6 (Nov. - Dec., 1989), p.43.
(59) Peter Singer: The Triviality of the Debate over "Is-Ought" and the Definition of "Moral", American Philosophical Quarterly, Vol. 10, No. 1 (Jan., 1973), p.53.

الحيوانات غير البشرية – أو على الأقل كل من لديه القدرة على الشعور بالألم، والذى يشمل بالفعل جميع الفقاريات، تراهم مستبعدين من دائرة الاهتمام الخلقى، فهؤلاء يتألمون ويعانون، كما تؤرقهم فكرة القلق أيضًا، فالألم هو الألم pain is pain بغض النظر عن نوع الكائن الذى يشعر به(٦٠).

من خلال الطرح السابق يؤكد سينجر أن الركيزة الأولى فى فلسفة الحيوان هى فكرة الاهتمام، فالإنسان متساوٍ مع الحيوان فى الاهتمام، فلا وجود لفروق بينهم فى الاهتمامات، بينما كانت الركيزة الثانية فى توطين المساواة هى الإحساس بالألم والمعاناة أو النقيض، فالحيوان يشعر ويتألم كما يتألم الإنسان. وإذا كانت الأخلاق Moral مرتبطةً بفكرة السعادة والمعاناة Suffering فإنه من الواجب أخلاقيًا أن نقوم بتخفيف حدة المجاعة Famine حيث أن إنفاق المال من أجل تخفيف حدة المجاعة سيقلل من المعاناة لدى الإنسان والحيوان، ويزيد من السعادة إلى حد أكبر من إنفاق الأموال فى شراء سيارة فخمة(٦١).

وبناءً على ما سبق، إذا كانت المجاعة تسبب ألمًا كبيرًا للإنسان والحيوان، فإن سينجر يقرر أنه من الواجب علينا أن لا نسمح بالقول أن جميع البشر لهم حقوق وواجبات لكونهم أعضاءً في جنسنا البشري فقط، لأن ذلك يولد نوعًا من العنصرية غير المقبولة. إن أى خصائص تمتلكها الكائنات البشرية تمتلكها على الفور – وبالضرورة – أيضًا الحيوانات غير البشرية، ولن أقبل الرأى القائل بأن بعض الفئات من البشر لها حقوق لا يمتلكها غيرهم من البشر أو حتى الحيوانات غير البشرية، فوفقًا لمفهوم العدالة Justice يجب أن نرفض فكرة اختبار وضع السموم للحيوانات حتى تموت لأجل اختبار الإضافات الغذائية، وذلك لكوننا رفضنا إجراء هذه الاختبارات على الأطفال الرضع لأجل هذا الغرض، بل رفضنا تطبيقها حتى على الأطفال الأيتام أو الذين ولدوا بتليف في الدماغ(٦٢).

(60) Miyun Park and Peter Singer: The Globalization of Animal Welfare: More Food Does Not Require More Suffering, Foreign Affairs, Vol. 91, No. 2 (March/pril 2012), p.122.
(61) Ibid: p.54.
(62) Peter Singer: Animal Liberation or Animal Rights? op.cit, p.4.

إذا كان سينجر من قبل يرفض العنصرية لأجل توطين المساواة بين الكائنات الحية العاقلة وغير العاقلة، فإنه هنا يرفض المعاناة، فجميع الكائنات الحية تشعر بالألم، كما تشعر أيضًا بالسعادة، لذلك رفض سينجر فكرة المعاناة، وحاول رفعها عن كاهل الحيوان. حيث يرى فى ذلك أن قابلية المعاناة capacity for suffering والاستمتاع بالأشياء مطلب أساسى فى الاهتمامات، وهى شرط يجب أن يتحقق قبل أن نستطيع التحدث عن الاهتمامات بأى طريقة ذات معنى. فمن العبث القول أنه ليس من اهتمامات الحجر stone إذا ركله طفل عائد من المدرسة، وذلك لكون الحجر لا يملك أى اهتمامات يمكن أن تشعره بالمعاناة أو السعادة[٦٣]، فى حين نجد الفأر من مصلحته ألا يتم تعذيبه، لأنه سيشعر بالمعاناة إن حدث هذا[٦٤]. وذلك لكون الفأر من الكائنات البيئية التى تشعر بالألم أو السعادة، بينما الحجر وإن كان يشغل حيزًا مكانيًا فى البيئة إلا أنه جماد يفتقر إلى الشعور أو الحس.

إن الموقف السابق الذى عبر عنه سينجر بالمقاربة بين"الحجر" و"الفأر" يتفق تمامًا مع الموقف الذى تبناه "جون بول سكوت" John Paul Scott (١٩٢٧-١٩٨٧) فى مقاربته بين قطعة "البلياردو" و"الكلب"، حيث يقول سكوت "إن الحيوان لا يستجيب للمؤثرات المختلفة حسب القواعد الميكانيكية الطبيعية البسيطة، ففكرة "البلياردو" عندما تتلقى ضربة مستقيمة من العصا تتحرك فى نفس اتجاه القوة المؤثرة فيها، ولكنك إذا وكزت كلبًا بهذه العصا، فإنه قد يأتى بعدة أفعال منها، أنه قد يلتفت وراءه ويعض العصا، أو قد يجرى حولك ويعض ساقك. كما أن الكلب قد يأخذ فى العواء بصوت مرتفع ويجرى لمسافة أطول من تلك التى دفعته إليها عصا "البلياردو". وفى جميع هذه الحالات فإن الكلب لا يتصرف مطلقًا مثلما حدث مع كرة "البلياردو" التى كانت حركتها محصلة كل القوى التى أثرت فيها. وتفسير ذلك أن الكائن الحى لا يتحرك تحت تأثير هذه القوى وحسب، إنما يحاول أن يُكيف نفسه للتغير الحادث"[٦٥].

---

(63) Peter Singer: Animal Liberation, Op.cit, pp.8,9.

(٦٤) بيتر سينجر: كل الحيوانات متساوية، مصدر سابق، ص٦٠.

(٦٥) جون بول سكوت: سلوك الحيوان، ترجمة: عبد الحميد خليل، وعبد الحافظ حلمي، مراجعة: محمود محمد رمضان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٠م، ص١٩.

ويؤكد "جون سكوت" أيضًا أن القوة الطبيعية المؤثرة قد تكون قليلة الأهمية بالنسبة لنوع رد الفعل الذى يقوم به الكائن، فالغزال قد يستفزه مجرد صوت إنكسار غصن صغير، وهو فى هذه الحالة قد استجاب بوضوح لكمية ضئيلة جدًا من الطاقة، قد تجعله يعدو بعيدًا لمسافة قد تزيد على ربع الميل(٦٦).

إذا كان سينجر يتفق اتفاقًا تامًا مع جون بول سكوت فى رفع الظلم، والمعاناة عن الحيوان، فإننا نراه هنا يتفق أيضًا مع – فيلسوفة العواطف الأمريكية – مرثا نسباوم(*) Martha C. Nussbaum التى أقرت فى كتاباتها أن للحيوان الحق في حياة كريمة، بعيدة عن الألم والمعاناة، لدرجةٍ أنها رأت في الحيوان أنموذجًا للبراءة الجميلة، ومن حُبها لبراءة الحيوان كتبت تحت عنوان "الرحمة: الإنسان والحيوان" تقول:"أعتقد أنني يمكن أن أعيش مع الحيوانات، لكونها هادئة جدًا، ولديها احتواء للذات، فتراني أقف، وأنظر إليها طويلاً وطويلاً، فهم لا يبغضون حالتهم أو يرفضونها، فتراهم لا يكذبون فى الظلام، بل تراهم يبكون ويتألمون من أجل خطيئاتهم. كما لا تجد فيهم من يركع للآخر"(٦٧). وعلى هذه الكيفية نجد أن سينجر

---

(٦٦) المرجع السابق: الصفحة نفسها.

(*) فيلسوفة أمريكية، يطلق عليها فيلسوفة المشاعر أو العواطف، أو فيلسوفة العدالة. وهي من مواليد مدينة نيويورك فى السادس من مايو ١٩٤٧م، وهي تعمل الآن أستاذًا للقانون والأخلاق فى جامعة شيكاغو، ومحور اهتماماتها منصبٌ حول الفلسفة السياسية النسوية، وفكرة العدالة الاجتماعية، وكذلك حقوق الحيوان. وتدين نسباوم فى فلسفتها إلى أرسطو وماركس بشكل أكبر، كما تتفق مع جون ستيوارت مل بدرجة أقل، وقد اتفقت مع أمارتيا صِن فى قوله بأن الوظيفة يجب ألا تؤدى بأي شكل من الأشكال، إنما بطريقة إنسانية حقيقية، فهي تعلن أنها إذ لم تكن فى استطاعتها ممارسة قوتها البشرية، وإبداعها المعبر عن ذاتها، فهي إذن تعيش حياتها بطريقة أكثر حيوانية من كونها إنسانة.

Look – Kleist, Chad. "Global Ethics: Capabilities Approach." *Internet Encyclopedia of Philosophy*, inc. Accessed, Sep 15, 2015 https://www.iep.utm.edu/gecapab/.

(67) Martha C. Nussbaum: Political Emotions – Why Love Matters for Justce, The Belknap Press of Harvard University Press, U.S.A, 2013, p.137.

يتفق مع نسباوم الأمريكية فى كون الحيوان كيان أصيل، له اهتماماته، ومشاعره التى لأجلها يفرح ولأجلها يتألم، وهذا ما صرحت به نسباوم أيضًا فى قولها :"الحيوانات لديها مشاعر Emotions"(٦٨).

هنا يستطرد بيتر سينجر فى دفاعه عن تحرير الحيوان بعرض بعض النماذج القاسية التى تمارس الآن ضد الحيوان فى المختبرات أو المعامل، أو المعاهد البحثية، ويقارن ذلك بالمرضى المتأخرين عقليًا(المتخلفين عقليًا وإدراكيًا) ، فيقول: إنه فى عام ١٩٣٩م كان أوتو شميدت Otto Schmidt يعمل كمساعد باحث فى إحدى مختبرات معهد البحوث الطبية المتميزة بألمانيا، ومن خلال ملاحظاته الدقيقة – التى كانت بالصدفة – لاحظ وجود وحدة خاصة فى ذلك المعهد تستقبل المرضى المتخلفين عقليًا من ملجأ قريب، وتستخدمهم فى المعامل كموضوعات بحثية وطبية، وقد لاحظ شميدت أن هؤلاء المرضى العقليين يتعرضون للغازات السامة المختلفة، بما فى ذلك الغازات العصبية، ثم يجبروهم الباحثون على الاستمرار فى السير صعودًا وهبوطًا فى منحدر مائل، حينئذ شعر المرضى بالقيء، كما ظهرت على أجسادهم أعراض بعض الأمراض الخطيرة، ولكن إذا توقفوا عن السير تعرضوا للضرب المبرح بالعصى، وبعد مضي بضعة أيام مات منهم الكثيرنتيجة الغازات السامة التى كانوا يستنشقونها، وتم وضع المرضى الباقيين لنفس التجربة حتى الموت(٦٩).

ولكن – ماذا يفعل أوتو شميدت حتى يوقف هذا العبث ؟ افترض افتراضًا، أن العلماء الذين يقومون بهذه البحوث يعملون دون إذن أو تصريح من السلطات، وأنه إذا تم إبلاغ السلطات فسيتم إيقافه عن العمل فى ذلك المعهد، ولكن هذا الفرض باء بالفشل حينما أخبره مدير المعهد أنه حصل على تصريح خاص من أعلى المستويات فى الدولة لإجراء هذا البحث، حيث إن نتيجة هذا البحث المؤلم ستكون

(68) Martha C. Nussbaum: Upheavals of Thought – The Intelligence of Emotions, Cambridge University Press, U. S. A, 2001, p.90.
(69) Peter Singer: To do or not to do, op.cit, p.42.

من نصيب الجندي الألماني، الذى قد يتعرض مرة أخرى للمواد الكيماوية السامة فى الحروب المادية، بعدها حاول شميدت جاهدًا الاتصال بهذه السلطات ولكن للأسف لم يتلق منهم أى أهتمام أو عناية. وقد حاول أيضًا تنبيه أقارب المرضى، لكن استفساراته كشفت أنه تم اختيار المرضى الذين ليسوا لهم أقارب، لم يجد شميدت حينها أى مخرج من الناحية القانونية لإيقاف هذا الدمار البشري(٧٠).

والتجارب مازالت مستمرة ولا يستطع شميدت نسيانها أو تغافل آهات المرضى، ولكن ماذا يفعل هذا البطل، بعد أن أُغلقت أمامه جميع القنوات القانونية؟ قرر شميدت أن يوقف هذه التجربة بأى طريقة كانت، إذ رأى أن المعمل الذى تجرى فيه هذه التجارب موجود فى مبنى منفصل وقد تم تجهيزه بشكل خاص، وفى إحدى الليالى لم يكن الموظفون أو الباحثون موجودين فى المبنى، حصل شميدت على إمدادات كبيرة من البنزين، وقام بإشعال النار فى المبنى، وكانت خُطته هذه ناجحة تمامًا، حيث تم تدمير المبنى بكامله، وبسبب نقص الموارد المادية فى ذلك الوقت لم يتم إعادة بناء المبنى مرة أخرى، وعليها لم تجرَ أى تجارب أخرى تعتمد على الغازات السامة فى هذا المعهد(٧١).

من خلال هذا السرد القصصي يؤكد سينجر أن هناك حدودًا أخلاقيةً يجب أن نفرضها على العلم، أى لابد من وجود حدود أخلاقية للتجارب البحثية أو التحقيق العلمي، فلابد من الموافقة المستنيرة للمرضى موضوع البحث، وذلك إن كان البحث ضروريًا، ولا يجب إكراه البشر أو خداعهم للمشاركة فى الأبحاث التى لا تفيدهم، ويمكن أن تلحق بهم الأذى(٧٢). كما يجب على الفلسفة الأخلاقية تحدي كيفية تفكيرنا فى الأشخاص ذوي الإعاقات الإدراكية، وأن نعطى لهم حق الحياة البشرية كاملاً(٧٣).

(70) Loc – Cit.
(71) Ibid: p.43.
(72) Peter Singer: Ethics and the Limits of Scientific Freedom, The Monist, Vol. 79, No. 2, Forbidden Knowledge (April 1996), pp.218,219.
(73) Peter Singer: Speciesism and Moral Status, Metaphilosophy, Vol. 40, No. 3/4, (July 2009), p.567.

وإذا كانت قصة المرضى المتأخرين عقليًا حدثت فى ألمانيا، وكانت لصالح الجندي الألماني، وكان البطل فيها شميدت على حد تعبير بيتر سينجر، فالقصة الثانية حدثت فى أمريكا، وكانت على الحيوانات، يقول سينجر: أنه يوجد معهد بحوث متميز فى الولايات المتحدة، وقد تم فيه تدريب مجموعة من القرود Monkeys على الركض فى مطحنة أسطوانية الشكل فى المعمل، وقد تلقت هذه القرود الصدمات الكهربائية الشديدة أثناء مقاومتها المضادة للركض (أى أذا توقفت القرود عن الحركة)، كما تعرضت القرود أيضًا لمجموعة متفاوتة من الإشعاعات الضارة، وكانت القرود التى تستقبل جرعات أكبر من الإشعاع تتقيأ مرارًا وتكرارًا، ثم يتم إعادتهم مرة أخرى لجهاز السير على هذه المطحنة الأسطوانية، وذلك لقياس تأثير الإشعاع على قدراتهم على الاستمرار فى الحركة. وخلال هذه الفترة الوجيزة، إذا لم يحرك القرود جهاز الحركة أو السير لمدة دقيقة واحدة زادت شدة الصدمة الكهربائية لتصل إلى ١٠٠ مللي أمبير، وقد استمرت بعض القرود فى التقيؤ أثناء تواجدها على جهاز السير، علمًا بأن القرود التى تتعرض للإشعاع تستغرق فقط خمسة أيام حتى تموت(٧٤).

ولكن، ما الذى يمكن فعله لإيقاف هذا العبث البحثي؟ يجيب بيتر سينجر على ذلك بقوله: إن أصحاب حركة تحرير الحيوان قد علموا بهذه الجريمة الشنعاء، وقاموا بالاجتماع فيما بينهم من خلال عدة قنوات قانونية لإيقاف هذا العبث البحثي، ولكن دون جدوى. بعدها مباشرة نجحت ناشطة حيوانية an animal activist تُدعى "أوليفيا سميث" Olivia Smith فى دخول المختبر الذى أُجريت فيه هذه التجارب، وقد عملت سميث جاهدة فى أن تُلحق الضرر والعبث فى جميع آلات المختبر ومعداته، حينها توقفت التجارب ولم تستأنف مرة أخرى(٧٥).

(74) Peter Singer: To do or not to do, op.cit, p.44.
(75) Loc – Cit.

ما الموقف الذى يجب أن نتخذه تجاه ما فعلته أوليفيا سميث؟ إذا اعتقدنا أن شميدت كان بطلاً، فهل يجب علينا التفكير فى سميث بنفس الطريقة؟(٧٦).

يجيب سينجر بل ويؤكد على حقيقة مؤداها، أن الباحث إذا لم يكن على استعداد لإستعمال طفل بشري يتيم فى بحثه، عندها يكون استعداده لاستعمال غير البشر تمييزًا ساذجًا، لأن القرود والقطط والفئران والثديات الأخرى البالغة أكثر شعورًا بما يحدث لها، وأكثر قدرة على توجيه ذاتها، وبقدر ما نستطيع معرفته – على الأقل – هى أكثر تحسسًا للألم من أى طفل بشري(٧٧).

ومن الجرائم القاتلة ما تقوم به شركات الأدوية ومستحضرات التجميل، والمنظفات الجديدة التى تنوى طرحها فى السوق، إذ تقوم بتقطير هذه المستحضرات والمواد الكيماوية فى عيون الأرانب، التى تُجبر على فتح أعينها بواسطة ملاقط معدنية، بقصد رصد أى نتائج مؤذية(٧٨).

وهنا نجد فيلسوف "تحرير الحيوان" توم ريجان يتفق تمامًا مع بيتر سينجر فى قضيته، إذ يطرح ريجان قضيته فى تساؤل فلسفي عميق من قبيل: إذا كانت الأفعال الآتية مثل ضرب الكلاب، وإشعال النار فى أذيال القطط، وتعذيب الببغاوات، أفعالاً خاطئة، فلماذا هى خاطئة؟

إن الجواب المفضل – فيما يقول ريجان – لدى كثير من الفلاسفة، بمن فيهم توما الأكوينى، وإيمانويل كانط، يتمثل فى أن الناس الذين يعاملون الحيوانات بهذه الأساليب الهمجية تنشأ لديهم عادة تميل بهم مع الزمن إلى معاملة البشر على نحو مشابه. فالأشخاص الذين يعذبون الحيوانات سوف يعذبون غيرهم من البشر أيضًا، هذا هو الأثر المنتشر الذى يجعل إساءة معاملة الحيوان خاطئة. فنحن لا نهتم مباشرة

(76) Loc – Cit.

(٧٧) بيتر سينجر: كل الحيوانات متساوية، مصدر سابق، ص٦٠.

(٧٨) المصدر السابق: ص٦٣.

بالمعاملة الفظة التى يتلقاها الحيوان، بل إن اهتمامنا يتجه إلى أن هذا الأمر نذير سوء للجنس البشرى(٧٩). أو كما قال كانط "ربما كان من واجبنا ألا نعذب الحيوان، لأن من كان قاسيًا فى معاملته للحيوان سيأتى يوم يصبح فيه قاسيًا فى معاملته لأخيه الإنسان"(٨٠).

ويشرح الدكتور – إمام عبد الفتاح إمام – المقصود من قول كانط السابق، أن كانط هنا لا يقف إلى جانب الحيوان حين يطالبنا بالرأفة والبعد عن القسوة فى معاملتنا للحيوان، بل هو يطلب منا الرأفة معه حتى لا نعتاد فنعامل رفاقنا من البشر بهذه الطريقة القاسية(٨١). فإذا كان هدف كانط لأجل الإنسان هنا، فإن هدف سينجر هو الدفاع عن إجراء هذا التبدل الذهنى فى ما يتعلق بمواقفنا وممارساتنا حيال هذه الكائنات غير البشرية، أو كما نطلق عليهم بطريقة شائعة ومضللة اسم "الحيوانات"، وبكلمات أخرى، إننى أرى ضرورة الامتداد بمبدأ المساواة لكى يشمل جميع الكائنات الحية(٨٢). حيث أن الحيوانات غير البشرية لديها انفعالات ورغبات، وتبدو قادرة على الاستمتاع بالحياة الطيبة(٨٣).

وهنا يتفق بيتر سينجر مع فيلسوفة رفاهية الحيوان الأمريكية –نسباوم – حيث قامت بعرض قصة مؤلمة توضح من خلالها أن الحيوان يحزن ويفرح مثل الإنسان تمامًا، فهي تروي قصة شمبانزي عجوز وإبنها الصغير، فتراها تقول :"عندما توفيت Flo ، وهى شمبانزي أنثى عجوز، في مجرى مائي، جلس وليدا

(٧٩) توم ريجان: حقوق الحيوان وأخطاء الإنسان، مقال منشور ضمن كتاب "الفلسفة البيئية" من حقوق الحيوان إلى الأيكولوجيا الجذرية، تحرير: مايكل زيمرمان، ترجمة: معين شفيق رومية، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣٣٢، الكويت، ٢٠٠٦م، ص ص ٧٣، ٧٤.

(٨٠) نقلاً عن – إمام عبد الفتاح إمام: الفيلسوف والحيوان – حوار بين العاقل والأعجم، دار صبح للطباعة والنشر، القاهرة،٢٠١٢م، ص٧٣.

(٨١) المرجع السابق: ص٩.

(٨٢) بيتر سينجر: كل الحيوانات متساوية، مصدر سابق، ص٥٤.

(٨٣) المصدر السابق: ص٦٧.

فلينت Flint بالقرب من جثتها، وأمسك بيده الصغيرة ذراعيها محاولًا سحبها من المجرى المائي بعد وفاتها ، كما كان ينام إلى جوار جثتها طوال الليل خوفًا عليها، وفي صباح يوم من الأيام ظهرت عليه علامات الإكتئاب depression ، وقد كان كلما ابتعد عن جُثة أمه عاد إليها سريعًا حتى يكون إلى جوارها، إلى أن هاجمت هاجمت الديدان جُثة أمه، وحينها كان فلينت قد خسر ثلث وزن جسده من حزنه لفراق أمه، وبعد زوال جثة أمه ودفنها، جلس فوق صخرة بالقرب من المكان الذي سقطت أمه إلى أن مات حُزنًا على أمه"(٨٤).

من خلال ما سبق طرحه يتضح أن الحزن والألم ليس مقصورًا على الإنسان فقط، حيث رأينا أن الحيوان يحزن ويتألم مثل الإنسان، فالحيوان لديه انفعالات ومشاعر، من هنا كان واجبًا تطبيق فكرة المساواة لتشمل فى طياتها العاقل والأعجم، وكل ما يوجد فى البيئة. فعلى حد تعبير – بيتر سينجر – نجد أن لحظات الألم والمتعة التى تمر بها الحيوانات فى المختبرات، هى نفس النوعية والكمية من الألم والمتعة التى يمر بها الإنسان، فالحيوانات لديها قدرات متساوية مع البشر فى فكرة الاستمتاع بالحياة(٨٥).

ولكن، هل كانت فكرة حقوق الحيوان والدفاع عن تحريره وليدة القرن العشرين أو الحادى والعشرين، علمًا بأن بيتر سينجر ما زال على قيد الحياة؟ أما كانت لها وجود سابق فى الفلسفات القديمة؟ أو حثت عليها الأديان؟ وما هو تعليق بيتر سينجر وتعقيبه فى مشكلة اللغة عند الحيوان، وكذلك مفهوم الإدراك المعرفي؟

يرى بيتر سينجر إن الاهتمام برفاهية الحيوانات ليست فكرة جديدة، ففى القرن الرابع قبل الميلاد، ذكر الفيلسوف الطاوي الصيني Zhuangzi أن البوصلة compass يجب أن تخلل العلاقات، ليس فقط العلاقات القائمة بين البشر، ولكن أيضًا جميع الكائنات الحية. كما أن التعاليم الأخلاقية للبوذية الشرقية تتضمن رعاية

(84) Martha C. Nussbaum: Upheavals of Thought – The Intelligence of Emotions, op.cit, p.89.

(85) Peter Singer: The Fable of the Fox and the Unliberated Animals, Ethics, Vol. 88, No. 2 (Jan., 1978), p.119.

جميع الكائنات الحية، وتعده مطلبًا أخلاقيًا، كما أصدر الإمبراطور الهندي "أشوكا" Ashoka فى القرن الثالث قبل الميلاد تصريحات ضد القتل والتشويه غير الضروريين للحيوانات، بما ذلك البحث عن الرياضة، كما قام بتأسيس مستشفيات خاصة لعلاج الحيوانات(٨٦).

وقد جاء فى العهد القديم Hebrew Bible أن يكون يوم السبت راحة لكل من الثيران والبشر، كما توجد نصوص أخرى تطلب من اليهود تخفيف المعاناة عن الحيوانات، حتى وإن كانوا ينتمون إلى عدو، وقد شجع القرآن الكريم أيضًا المسلمين على الرفق بالحيوان، فقد جاء عن النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – أنه قطع كُم قميصه حتى لا يُزعج قطة نائمة عليه(٨٧). وعليها يمكن القول أن حركة حقوق الحيوان وتحريره من وطأة المعاناة والألم، هى فى الأصل حركة دينية، ولها جذورها أيضًا فى الأفكار الشرقية القديمة، وبالتالي لا تكون هذه الفكرة حديثة العهد، فهى قديمة قدم الأديان والحضارات.

وفى تاريخ نشأة حركة حقوق الحيوان، يرى سينجر أن هذه الحركة بدأت فى الدول الغربية ابتداءً من القرن التاسع عشر – أولاً – فى المملكة المتحدة، ثم فى دول أوربية أخرى، وكذلك أمريكا الشمالية، حيث أصدرت الحكومات قوانين لحماية الحيوانات من بعض أشكال القسوة مثل الجلد والضرب، وكذلك الحرمان من الطعام والماء. وعليها مضت الدول الغربية فى توفير الحماية القانونية للحيوانات فى الصناعات، مثل تلك التى تستخدم فى التجارب داخل المختبرات، وفيما بعد لتلك التى تربى فى المزارع، والمذبوحة لأجل الاستهلاك البشري(٨٨).

كما يوجد فى الاتحاد الأوروبي اليوم عددٌ من وسائل الحماية للحيوانات الزراعية، بما فى ذلك حظر الأكشاك الباذلة للخنازير الحوامل، والحبس المكثف للعجول الصغيرة، والأقفاص الجرداء للدجاج البياض. وفى الوقت نفسه أعربت

(86) Miyun Park and Peter Singer: The Globalization of Animal Welfare: More Food Does Not Require More Suffering, op.cit, p.123.
(87) Loc – Cit.
(88) Loc – Cit.

الحكومات الوطنية والمجتمع العالمى بشكل متزايد عن قلقها لحيوانات المزرعة، بغض النظر عن المكان الذى تُربى فيه، ولكن على الرغم من هذه التطورات فى السياسة المحلية، بما فى ذلك قوانين حماية الحيوانات المختلفة، فإن الإطار التنظيمي لرعاية الحيوان غاب إلى حد كبير على المستوى الدولي. وعلى الرغم من وجود اتفاقيات دولية لحماية بعض الأنواع من الصيد (صيد الحيتان فى اتفاقية ١٩٤٦م) إلا إنه لا توجد اتفاقيات مماثلة تحكم معاملة الحيوانات التى يقوم بتربيتها الإنسان لأجل أكلها أو لإنتاج البيض، أو توفير الحليب(٨٩).

وإذا كان بيتر سينجر من خلال نصوصه السابقة يُدين الإنسان الذى يقوم بتربية الحيوان لأغراضه الخاصة من أكل، وحليب، وجلود، وغيرها مما يستخلص من الحيوان، فإن سينجر يقرر هنا أن الإنسان من الواجب أن يكون نباتيًا، لأجل الحفاظ على صحة الحيوان، حيث يقول: إنه لا يمكن الدفاع عن أكل اللحوم بحجة إشباع حاجاتنا الغذائية، إذا كان من الممكن لنا أن نستبدلها بالبروتين المستخلص من صلصة الحبوب، أو المنتجات النباتية الأخرى الغنية بالبروتين(٩٠).

يؤكد سينجر أن هناك صورًا أخرى مؤلمة للحيوان، حيث يذكر للقارىء هذا المشهد المحزن، أنه فى يونيو الماضى قام برنامج تليفزيوني أسترالي ببث فيديو سريًا، حيث يظهر فيه ذبح الماشية المحلية التى يتم تصديرها إلى أندونيسيا، فظهر العمال فى الفيديو وهم يطرقون الحيوانات على الأرض ويقومون بربطها، والحيوانات فى هذه الحالة على وعيّ تمامًا، بل كانت فى حالة زُعرٍ وخوفٍ شديد، فتراها منتفخة العينيين وهى فى انتظار سكين القاتل. كانت هذه المشاهد المؤلمة غير مقبولة لدى الجمهور الأسترالي، وبعد فترة وجيزة من بث البرنامج، أصدرت الحكومة الأندونيسية تصريحات تفيد جعل ظروف ذبح الحيوانات أكثر إنسانية(٩١).

---

(89) Ibid: p.124.

(٩٠) بيتر سينجر: كل الحيوانات متساوية، مصدر سابق، ص٦١.

(91) Miyun Park and Peter Singer: The Globalization of Animal Welfare: More Food Does Not Require More Suffering, op.cit, p.124.

أما اليوم، فقد أدى النمو الاقتصادى والتنمية فى جميع أنحاء العالم إلى زيادة الطلب على المنتجات الحيوانية، فوفقًا للبنك الدولي فقد تسبب المطلب العالمي المتزايد على زيادة إجمالي إنتاج اللحوم فى العالم النامي إلى ثلاثة أضعاف تقريبًا بين عامي (١٩٨٠م – ٢٠٠٢م) من ٤٥ مليون إلى ١٣٤ مليون طن، مع حدوث أكبر تصعيد فى البلدان التى تشهد نموًا اقتصاديًا سريعًا بقيادة الصين(٩٢).

ووفقًا لمنظمة الأمم المتحدة للأغذية والزراعة (fao)، تضاعف استهلاك الألبان فى البلدان النامية، وتضاعف استهلاك اللحوم بأكثر من ثلاثة أضعاف، كما زاد استهلاك البيض بمقدار خمسة أضعاف. تثير هذه الأعداد الهائلة مخاوف البشر من مشكلة التلوث البيئى pollution ، وكذلك الطلب المتزايد على الحبوب، وفول الصويا لإطعام هذه الحيوانات. وفى الوقت نفسه تُشكل الظروف التى تعيش فيها الحيوانات مشاكل فى تحقيق رفاهيتهم، حيث يتم توفير الغالبية العظمى من المنتجات الحيوانية فى العالم من خلال أنظمة الحبس المكثف، والتى تحرم الحيوان من فرصة العيش بطريقة تتناسب مع السلوك الطبيعي لنوعه(٩٣).

والآن، يقول بيتر سينجر: "دعونا ننظر فى القدرات المعرفية للكائنات غير البشرية، وخاصة فيما يتعلق بالذكاء وفهم اللغة، وأخص بالتحديد البحث الذى تم إجراؤه على القردة العليا، والببغاوات الرمادية Grey parrots ، حيث سجلت نتائج البحث أن الغوريلا كوكو Gorilla Koko حصلت على درجات ما بين ٧٠ و٩٥ % فى اختبارات الذكاء البشري، وأثبتت نتائج البحث أنها تعي وتفهم ما يقرب من ألف علامة، كما أن هناك العديد القرود العظيمة، بما فى ذلك الغوريلا، والشمبانزي، والبونوبو Bonobos ، والأورنجوتان، يمكنهم استخدام لغة الإشارة البشرية، ويمكنهم تطويرها من خلال الفهم، حيث إنهم يفهمون عددًا من العلامات الإشارية، كما يستخدمون كلمات منتظمة لبناء الجملة الكلامية"(٩٤).

(92) Ibid: p.124.
(93) Ibid: p.125.
(94) Peter Singer: Speciesism and Moral Status, op.cit, p.568.

وهناك أيضًا أليكس Alex الببغاء الرمادي الأفريقي، الذي توفي مؤخرًا، فقد اغتنم أليكس ما يقرب من مائة كلمة منطوقة. وبالطبع، فإن الببغاوات تستوعب اللغة البشرية المنطوقة، وتستجيب لها بنفس اللغة المنطوقة، فلا وجود للغة إشارية هنا، فقد تبين من البحث أن "أليكس" ليس مجرد ببغاء، وهذا القول ينطبق على جميع الببغاوات الأخرى، لأنه يمكنه الإجابة عن أسئلة جديدة تُطرح أمامه كل يوم باستمرار، كما أظهرت إجاباته أنه على دراية وإدراك للمفاهيم الحياتية، فعلى سبيل المثال، إذا تم عرض "أليكس" على كرة صفراء ومكعب أصفر، وسئل عن الشيء المشترك بينهما، كان يجيب على الفور أنه "اللون" color ، وإذا ما قدمت له كرة حمراء، وكرة صفراء، وتم سؤاله عن الشيء المشترك بينهما، كانت إجابته "الشكل" shape ، هذا من ناحية الإدراك المعرفي للحيوانات غير البشرية[٩٥]. وعلى هذه الجدلية اتفقت نسباوم مع سينجر فى الإقرار بأن للحيوانات ذكاءً معرفيًا، بل جعلت نسباوم الحيوان بمثابة المرشد أو المعلم للإنسان، فهي تبرهن على ذلك بقولها :" أنه من خلال دراسة المشاعر والسلوك العاطفي للحيوانات الاجتماعية المعقدة مثل القردة والفيلة، نجد أن هذه الحيوانات تُرشدنا برموز tokens من أنفسنا، وعلينا قبولها. ولكن الإنسان غالبًا ما يُنكر هذه القرابة التى تجمع بينه وبين الحيوان، بل يُنكر أنه يتعلم الكثير من الحيوان، لأنه يرى نفسه دائمًا أنه فى مستوى يفوق مستوى الوحوشabove of the beasts"[٩٦]. وعليها صرح سينجر قائلاً:"إنني مؤمن بأن للحيوانات غير البشرية الحق في الحياة معنا، وعلى قدر متساوٍ تمامًا مع حياتُنا"[٩٧].

وينتهي سينجر فى دفاعه عن حركة تحرير الحيوان إلى أنه لا فرق بين الكائنات البشرية، فالعاقل والأعجم متساوٍ فى الحقوق، وللجميع الحق فى حياة طيبة، بعيدة عن البؤس والألم والمعاناة، فإذا كان مصطلح "الجنين" embryo لا ينطبق فقط

(95) Ibid: p.569.
(96) Martha C. Nussbaum: Political Emotions – Why Love Matters for Justce, op.cit, p.138.
(97) Peter Singer: The Fable of the Fox and the Unliberated Animals, Ethics, op.cit, p.120.

على الثديات، إنما ينطبق على الحيوانات الأخرى، والنباتات، كما يمكن استخدامه مجازًا لوصف أي مرحلة أولية فى التطور(٩٨).

وعلى هذه الكيفية المقدمة، يمكن القول إن بيتر سينجر يرى أنه لا اختلاف بين الإنسان والحيوان، فمنذ البدء قرر أن الحيوانات تشبهنا، وإذا كانت تشبهنا فلماذا نتركها تعاني وتتعذب فى الحقول، والمختبرات، والمصانع. فالحيوانات كيانات تفرح وتتألم مثلها مثل الإنسان، كما أنها تتكلم، وتفهم ما يدور حولها من أحداث، بل تجيب عن بعض الأسئلة التى تطرح أمامها، ويؤكد ذلك سينجر باعتماده على الأديان، فالأديان جميعها حثت على تحرير الحيوان والرفق به، من هنا كانت حركة تحرير الحيوان، ورفع المعاناة عنه.

(98) Agata Sagan and Peter Singer: The Moral Status of Stem Cells, Metaphilosophy, Vol. 38, No. 2/3, (April 2007), p.266.

تعقيب ونقد.

قبيل الشروع فى التعقيب والنقد لفلسفة بيتر سينجر الأيكولوجية، يرى الباحث أنه من الواجب عدم إغفال الجوانب الطيبة من فكر سينجر الأخلاقى، فعلى الرغم من وجود بعض التعقيبات والانتقادات، إلا أن بيتر سينجر قدم بحق محاولة تطبيقية واقعية لسيكولوجية الحيوان أو تحريره من وطأة المعاناة والقهر. والعجيب أنه قام بتطبيق ذلك الأمر على نفسه وأسرته أولاً، قبل أن يكتبه كنظرية فلسفية يناشد فيها الجميع باحترام حقوق الحيوان، وذلك عندما امتنع هو وزوجته عن أكل اللحوم، مع العلم أن اللحوم تحتوى على البروتين اللازم لجسم الإنسان، فمهما كانت القيمة الغذائية للنباتات إلا أنها غير كافية لبناء الجسم، لأن عناصر البروتين والكالسيوم غير مكتملة.

ومما يؤخذ على بيتر سينجر فى فكرة المساواة ودحض العنصرية، أن هذه الفكرة بكاملها من صُنع الفيلسوف الإنجليزى "جيرمى بنتام" ، أخذها سينجر ليصوغها فى ثوبٍ جديدٍ، ألا وهو تطبيقها عمليًا على الحيوان الأعجم، ولكن الفكرة ذاتها ليست فكرة جديدة من إبداع سينجر ، حيث إن هذه الفكرة كانت محورًا رئيسًا فى تكوين النظرية النفعية فى القرنين الثامن عشر، والتاسع عشر الميلاديين، حتى قال عنها سينجر "إن النظرية النفعية هى النظرية الأكثر شهرة فى حقل الدراسات الأخلاقية، لأنها ترتبط دائمًا بنتائج الأفعال".

وإذا كان سينجر قدم سيكولوجيةً جديدةً لفهم سلوك الحيوان، إلا أنه أغفل سيكولوجية الإنسان ذاتها، فعندما يريد سينجر تطبيق فكرة المساواة بين البشر، تناسى أن الطبيعة البشرية هى فى الأصل طبيعة أنانية، فكل إنسان فيها أنانى بطبعه، وبالتالى لا يمكن أن يُعطى إنسان لأبناء أخيه ما يُعطيه بالفعل لأبنائه، فكيف يعطى أو يمنح ماله أو عطفه لمن هم خارج أسرته، وهنا يتفق الباحث مع رأى ديفيد هيوم فى قوله: "أن الرجل يُحب أطفاله بشكل طبيعى أكثر من أبناء أخيه، وأبناء أخيه أكثر من أبناء عمومته". وعليها يمكن القول أن نظرية بيتر سينجر فى المساواة ما هى إلا يوتوبيا حالمة، لا يمكن تطبيقها، وذلك لوجود الأنانية، وحب التملك لدى الذات الإنسانية. لذلك ظهر سينجر فى هذه النظرية وكأنه فيلسوف يعيش فى البرج

العاجى، لا يدرك سيكولوجية الذات الإنسانية، فهو ما زال حتى الآن يعيش فى عالمٍ وحده.

وإن كان الباحث يتفق مع بيتر سينجر فى تحرير الحيوان، ورفع الظلم، والقهر، والمعاناة عنه، إلا أنه يختلف معه اختلافًا جذريًا فيما يختص بموضوع اللغة، والذكاء عند الحيوان، فقد يكون حقًا أن بعض الحيوانات تفهم اللغة الإشارية، ولكن هذا لا يعنى أنها تتساوى مع الإنسان الناطق العاقل. كما أنه لا يجوز القول أن ذكاء الأعجم يتناسب طرديًا مع الذكاء الإنسانى، فإذا كان الأمر كذلك – كما يقول سينجر – فكيف نبرهن على العقل كميزة أساسية خص الله بها الإنسان وحده، وعليها يكون كلام بيتر سينجر متناقضًا مع المنطق الإلهى فى تكوين الإنسان.

إن الرؤية التى قدمها سينجر ما هي إلا وصفًا للمعاناة التى يعانى منها الحيوان، وليست تحريرًا له بالمعنى الجامع المانع، فدراسة سينجر هنا فى أخلاقيات الحيوان ما هى إلا دراسة لسيكولوجية الحيوان، أو ما يسمى بعلم نفس الحيوان، ولا تقبع ضمن تحرير الحيوان بالمعنى المطلق، والدليل على ذلك كثرة الحالات التى رصدها سينجر لمعاناة الحيوان سواءً داخل المختبرات أو الحقول الزراعية، وعليها يكون سينجر راصدًا لآلامه وليس محررًا له.

لقد أخطأ بيتر سينجر عندما برهن على فكرة حقوق الحيوان بالدين الإسلامى الحنيف، حيث ذكر سينجر فى كتاباته أن نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – قطع كُم قميصه حتى لا يُزعج قطة نائمة. وهذا يُعد خطأً، فلم ترو لنا سيرة المصطفى – صلى الله عليه وسلم – أنه فعل مثل ذلك، فلو كان الأمر كذلك – لإمتلأت المنازل، والجامعات بالقطط، ولأصبح لكل إنسان قطة تعيش معه فى منزله. مع العلم أن الطب الحديث أثبت أن القطط تحمل ميكروبات ضارة للإنسان، فكيف يتناسب ذلك مع تقدم الطب والتكنولوجيا. أما الحديث الشريف الذى ذُكر بشأن الرفق بالقطط أو الحيوان بشكل عام، وهو الحديث الذى جاء فى باب النهي عن تعذيب العبد، والدابة، والمرأة، والولد، وهو كالتالى: عن ابن عمر (رضى الله عنهما)، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال "عُذبت امرأة فى هرة، سجنتها حتى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هى أطعمتها، ولا سقتها، إذ حبستها، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض" متفق عليه.

نتائج البحث:

يمكن استخلاص بعض النتائج المهمة، وذلك من خلال تحليل رؤية بيتر سينجر فى المساواة وتحرير الحيوان، وأهم هذه النتائج ما يلي:

أولاً: يمثل الفيلسوف الأسترالي بيتر سينجر أحد أهم دعائم الفلسفة البيئية بوجه عام، كما يعد أهم ممثلي أخلاقيات البيولوجيا بشكل خاص، فهو الفيلسوف الذي لاقت أفكاره انتشارًا فى البلدان الناطقة بالعربية والإنجليزية، لما تمثله أفكاره من عمق فلسفي، واجتماعى، فهو حقًا الفيلسوف الأكثر نفوذًا فى العالم.

ثانيًا: تُعد فلسفة جيرمي بنتام النفعية هي الأصل الأول الذي بُنيت عليه فلسفة بيتر سينجر، حيث مثلت فلسفة بنتام الكيفية التى ينبغي أن يكون عليها السلوك الإنساني، ومن هذه الفلسفة الرصينة أخذ بيتر سينجر فى تشكيل فلسفته عن المساواة، حتى انطلق بفكرة المساواة من المنحدر الإنساني الضيق، ليصوغها فى فلسفة أعم، حيث تشمل المساواة العاقل والأعجم.

ثالثًا: لقد رفض بيتر سينجر فكرة التمييز العرقي، أو الجنسي، أو التمييز العقلي، كما رفض فكرة العنصرية والاستقلالية في الأحكام، بل رفض كل ما يجعل الفرد يعيش منعزلًا عن أفراد مجتمعه.

رابعًا: لقد عمل بيتر سينجر على توطين فكرة المساواة من خلال منهجه فى البيولوجيا الاجتماعية، حيث رأى أن السلوك الإنساني ينبع من أصل اجتماعي، فالإنسان الفرد لا يستطيع أن يعيش بمفرده، لأن طبيعته الإنسانية تقر أنه حيوان اجتماعي.

خامسًا: يُمثل بيتر سينجر أهم الفلاسفة الغربيين الذين قاموا برفض التجارب التى تجرى فى المختبرات على الحيوانات، فقد كان كتاب سينجر "تحرير الحيوان" عبارة عن ثورة لوقف التجارب على الحيوان، وإحترام حقوقه، لأن الحيوان فى فكر سينجر كيان يشعر بالسعادة، ويتألم من القسوة، لذا كانت نظرية سينجر فى الحيوان عبارة عن تحليل لسيكولوجية الحيوان، أو بالأحرى هى نظرية فى علم نفس الحيوان.

سادسًا: توصل سينجر فى رؤيته إلى كون الحيوان لديه إدراك معرفي، فهو لديه نوع من الذكاء يجعله يتغنى باللغة الإنسانية المنطوقة، فالحيوانات لدى سينجر تعي وتفهم المراد منها، كما تستطيع الإجابة عن أسئلة الذكاء التى تُطرح أمامها.

سابعًا: تُعد الأديان فى فلسفة بيتر سينجر الأيكولوجية هى المعين الأول الذى عنه سينجر فكرة تحرير الحيوان، والرفق به، والدليل على ذلك أنه قام بتقصي جميع الأديان السماوية، والوضعية بداية من تاريخ خلق الإنسان إلى الدين الإسلامي الحنيف، وعليها تظهر بوضوح نزعته الدينية فى تبرير دفاعه عن الحيوان.

مصادر ومراجع البحث:

أولاً: مصادر بيتر سينجر المترجمة للعربية.

١- بيتر سينجر: **كل الحيوانات متساوية**، بحث منشور ضمن كتاب "الفلسفة البيئية"، تحرير/ مايكل زيمرمان، ترجمة/ معين شفيق رومية، سلسلة عالم المعرفة، العـــدد ٣٣٢، الكويت، ٢٠٠٦م.

ثانيًا: مصادر بيتر سينجر باللغة الإنجليزية.

2. Singer, Peter: **Famine, Affluence, and Morality**, Philosophy & Public Affairs, Vol. 1, No. 3 (Spring, 1972).

3. _____: **Is Act-Utilitarianism Self-Defeating?** The Philosophical Review, Vol. 81, No. 1 (Jan., 1972).

4. _____: **The Triviality of the Debate over "Is-Ought" and the Definition of "Moral",** American Philosophical Quarterly, Vol. 10, No. 1 (Jan., 1973).

5. _____: **Why Nozick Is Not So Easy to Refute?** The Western Political Quarterly, Vol. 29, No. 2 (Jun., 1976).

6. _____: **The Fable of the Fox and the Unliberated Animals,** Ethics, Vol. 88, No. 2 (Jan., 1978).

7. _____: **Utilitrianism and Vegetarianism**, Philosophy & Public Affairs, Vol. 9, No. 4 (Summer, 1980).

٨. _____: **Ethics and Sociobiology**, Philosophy & Public Affairs, Vol. 11, No. 1 (Winter, 1982).

9. _____: **Animal Liberation or Animal Rights?** The Monist, Vol. 70, No. 1, Animal Rights (January, 1987).

١٠. _____: **To do or not to do**, The Hastings Center Report, Vol. 19, No. 6 (Nov. - Dec., 1989.

11. _____: **Ethics and the Limits of Scientific Freedom**, The Monist, Vol. 79, No. 2, Forbidden Knowledge (April 1996).

12. ــــــــــــــ : **How Are We Live**? Random House Australian Press, Australia, 1997.

13. ــــــــــــــ: **Practical Ethics**, Cambridge University press, New York, Second Edition, 1999.

14. ــــــــــــــ: **Animal Liberation**, Library of Congress Cataloging-in-Publication, New York, 2002.

15. ــــــــــــــ **Ethics and Intuitions**, The Journal of Ethics, Vol. 9, No. 3/4, Devoted to James Rachels (2005).

16. ــــــــــــــ: **Speciesism and Moral Status**, Metaphilosophy, Vol. 40, No. 3/4, (July 2009).

17. Peter Singer. "**About Me / C.V. "** *Facebook*, April 10, 2015, , https://petersinger.info/about-me-cv. Accessed, (16/ 8/ 2015)

.

ثالثًا: مصادر بيتر سينجر المشتركة فى التأليف بالإنجليزية.

18**.** Ikonomidis, Sharon and Singer, Peter: **Autonomy, Liberalism and Advance Care Planning**, Journal of Medical Ethics, Vol. 25, No. 6 (Dec., 1999).

19. Park, Miyun and Singer, Peter: **The Globalization of Animal Welfare: More Food Does Not Require More Suffering**, Foreign Affairs, Vol. 91, No. 2 (March/pril 2012).

20**.** Sagan, Agata and Singer, Peter: **The Moral Status of Stem Cells**, Metaphilosophy, Vol. 38, No. 2/3, (April 2007).

21. Singer, Peter and Kusha, Helga: **Resolving Arguments about the Sanctity of Life**: **A Response to Long**, Journal of Medical Ethics, Vol. 14, No. 4 (Dec., 1988).

رابعًا: كتابات عن بيتر سينجر بالإنجليزية

22. Camosy, Charles C: **Peter Singer and Christian Ethics**, cambridge university press, New York, First published, 2012.

23. Specter, Michael: **The Dangerous Philosopher**, The New York, Septemeber 6, 1999.

خامسًا: المراجع العربية.

24. إمام عبد الفتاح إمام: **الفيلسوف والحيوان – حوار بين العاقل والأعجم**، دار صبح للطباعة والنشر، القاهرة،٢٠١٢م.

25. حسين على: **العلم والقيم الأخلاقية – رؤية معاصرة**، أم القرى للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٨م.

26. زكي نجيب محمود: **حياة الفكر فى العالم الجديد**، دار الشروق، الطبعة الثانية،١٩٨٢م.

27. مصطفى النشار: **مدخل إلى فلسفة البيئة والمذاهب الأيكولوجية المعاصرة**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.

سادسًا: المراجع الأجنبية المترجمة للعربية.

28. توم ريجان: **حقوق الحيوان وأخطاء الإنسان**، مقال منشور ضمن كتاب "الفلسفة البيئية" من حقوق الحيوان إلى الأيكولوجيا الجذرية، تحرير: مايكل زيمرمان، ترجمة: معين شفيق رومية، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣٣٢، الكويت، ٢٠٠٦م.

29. جون بول سكوت: **سلوك الحيوان**، ترجمة: عبد الحميد خليل، وعبد الحافظ حلمي، مراجعة: محمود محمد رمضان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٠م.

سابعًا: المراجع الإنجليزية.

30. A. J. Ayer: **Freedom and Morality- and Other Essays**, Clarendon Press, Oxford, New York,1984.

31. Cavalieri, Paola: **The Animal Debate: A Reexamination, An Essay In "In Defense of Animals"** Edited by Peter Singer, Blackwell Publishing Ltd, 2006.

32. Duignan, Brian. **"Peter Singer."** *Encyclopædia Britannica.* Encyclopædia Britannica, inc. Mar 29, 2007, Accessed July 12, 2015. https://www.britannica.com/biography/Peter-Singer.

33. Knowles, Dudley: **Political Philosophy,** Routledge, London, 2001.

34. Kleist, Chad. **"Global Ethics: Capabilities Approach."** ***Internet Encyclopedia of Philosophy,*** inc. Accessed, Sep 15, 2015. **https://www.iep.utm.edu/gecapab/.**

35. Matheny, Gaverick: **Utilitarianism and Animals, An Essay In "In Defense of Animals"** Edited by Peter Singer, Blackwell Publishing Ltd, 2006.

36. Nussbaum, Martha C: **Upheavals of Thought – The Intelligence of Emotions**, Cambridge University Press, U. S. A, 2001.

37. Nussbaum, Martha C: **Political Emotions – Why Love Matters for Justce**, the Belknap Press of Harvard University Press, U.S.A, 2013.

38. Perry, John: **What did Utilitarianism come from, essay in "God, The Good and Utilitarianism",** edited byJohn Perry, Cambridge University press, New York, First Edition, 2014.

39. Raphael, D. D: **Moral Philosophy**, Oxford University Press, New York, 1981.

40. Westermark, Edward: **Ethical Relativity,** Kegan Paul, Trench, Trubner & Co, LTD, London, 1932.